

رحلة خارج زمني

من أجل فهم الحاضر وصناعة المستقبل



$$E=mc^2$$

الزمن لا يغير...
لكنه يعلم من
يستمتع إليه.

بقلم

أحمد محمد عبد الكريم

رحلة خارج زمني

تأليف

احمد محمد عبد الكريم

البداية "علاء"

" انا علاء شاب متخرج حديثاً من التجارة جامعة القاهرة عندي الان ٢٣ عام اظن انهم مرو سريعاً...فعلا مرة سريعاً"

كان يقف أمام المرأة، ينظر إلى نفسه للمرة الأخيرة قبل أن يخرج.

ابتسم ابتسامة خفيفة، وقال وكأنه يطمئن قلبه:
"اليوم... سأخذ هذه الخطوه أخيراً"

توقف لحظة، ثم تنهد:
"أربع سنوات... أربع سنوات كاملة ونحن معاً في الجامعة.
واليوم، حان الوقت."

أمسك مفاتيحه وخرج.

وقف علاء أمام باب منزل رنا.
شعر بشيء ثقيل في صدره... خليط من التوتر والخوف، لكن خلفه
كان هناك أمل كبير.

ضغط الجرس.

لم تمر ثوانٍ حتى فُتح الباب.

دخل، وجلس أمام والد رنا.

كان الرجل هادئاً... هدوءاً غير مريح.

نظر إليه قليلاً، ثم قال:
"لماذا لم يأت معك والدك؟ أو أحد من أقاربك؟"

ارتبك علاء قليلاً، لكنه حاول أن يبدو ثابتاً:
"موجودون في البيت... بس قولت أن آخذ رأيك أولاً، وهيكونو في أقرب وقت موجدين."

أوماً الرجل برأسه، ثم سأله:
"و بتشتغل فين دلوقتي؟"

أخذ علاء نفساً عميقاً:
"بعد التخرج حاولت كتير أن أجد وظيفة مناسبة... لم يكن الموضوع سهلاً. بس شغال دلوقتي في خدمة العملاء بإحدى شركات الاتصالات."

تغيرت ملامح الرجل قليلاً، وقال:
"خدمة عملاء... اه."

ثم أضاف وهو ينظر إليه نظرة فاحصة:
"و هتعيشو فين ؟ عندك شقه؟"

قال علاء بسرعة:

"نعم، شقة إيجار. صغيرة بعض الشيء... لكنها بداية فقط. ومع الوقت سأتمكن من تحسين وضعي."

ساد الصمت.

ثوانٍ مرت... لكنها بدت طويلة جدًا.

تنهد والد رنا، وقال بهدوء:
"هل تعلم كم تنفق رنا شهرياً؟"

شعر علاء بشيء ينقبض داخله، لكنه قال بثقة:
"سأتحمل كل مسؤولياتها يا عمي."

نظر إليه الرجل نظرة مباشرة، وقال:
"دعنا نكون واقعيين يا علاء."

تجمدت ملامح علاء.

"عملك الحالي... ووضعك المادي... لا يناسبان رنا."

همس علاء:
"ماذا تقصد؟"

أجاب الرجل دون تردد:

"الراتب الذي تتقاضاه لن يكفي، والشقة الصغيرة التي نتحدث عنها لا تليق بها. هذا هو قراري."

سقطت الكلمات كأنها شيء ثقيل.

لكن علاء... لم يتكلم.

اكتفى بابتسامة خفيفة، وقال:
"شكرًا لك يا عمي."

وقف ببطء، واتجه نحو الباب.
و يتحدث والد رنا مره آخره بابتسامة خفيه و قال :
"انت عارف الايام دي عامله ازاى و كل اب لازم يشوف الي يريح بنته"

سكت علاء و هو رائسه وقبل أن يخرج... ألقى نظرة أخيرة.

ثم رحل.

خرج علاء من المنزل...

لم يركب وسيلة مواصلات، ولم يفكر حتى في ذلك.

كان يسير فقط... بلا هدف.

الطريق أمامه كان طويلاً، لكنه لم يشعر به.
كان يشعر بشيء آخر... ثقل في صدره.

تحدث إلى نفسه بصوت منخفض:
"لماذا أشعر بالحزن؟... هذه ليست المرة الأولى."

ابتسم بسخرية خفيفة:
"رُفِضت في عمل... ورُفِضت في أشياء كثيرة من قبل."

ثم تنهد:
"فلماذا الآن؟... لماذا يؤلمني الأمر هكذا؟"

سكت قليلاً، ثم قال وكأنه يواجه الحقيقة:
"ربما... هذه هي حياتي التي كُتبت لي."

عاد علاء إلى منزله.

ما إن دخل، حتى لاحظت والدته ملامحه.

اقتربت منه بسرعة:

"ها يا بني؟ ماذا حدث؟"

نظر إليهما... ثم قال بابتسامة باهتة:
"كما توقعت... تم القبول."

توقفت أمه لحظة، قبل أن يفهم والده المقصود.

أكمل علاء:
"لكن... قبول بالرفض."

ساد الصمت.

قال بهدوء:
"يبدو أن لا أحدًا لا يختار حياته... لا الفقير يختار فقره، ولا الغني
يختار غناه."

نظرت إليه أمه بحزن، وقالت:
"لا تحزن يا بني... ربما لم يكن نصيبك. سيعوضك الله بالأفضل."

أما والده...
فاكتفى بالصمت.

دخل علاء غرفته، وأغلق الباب خلفه.

أخرج هاتفه... وتردد قليلاً، ثم اتصل برنا.

ثوانٍ مرت... ثم جاء صوتها.

باردًا.

"علاء... لا يوجد نصيب بيننا."

تجمدت يده.

أكملت:

"لا أستطيع التحدث الآن... ابن خالتي تقدم لي، ووالدي وافق."

صمتت لحظة، ثم قالت:

"كانت بيننا أيام جميلة... وأتمنى أن أراك بخير."

وانتهت المكالمة.

ببساطة... انتهى كل شيء.

استلقى علاء على سريره.

لم يبكِ...
لكنه كان يغرق.

أفكار لا تتوقف... وصوت داخلي لا يهدأ.

مرت الأيام...
ثم تحولت إلى أسابيع.

لم يذهب إلى عمله.
لم يفعل شيئاً... سوى التفكير.

في أحد الأيام...

جاء صوت والدته من خلف الباب، كان حزيناً... وكأنه يحمل
دموعاً:

"يا علاء..."

لم يرد.

أكملت بصوت مرتجف:
"أنا أعلم أنك حزين... وأعلم أنك لست بخير."

سكتت لحظة، ثم قالت:
"لكن هذا لن يغير شيئاً."

"إن كان الأمر خيراً... لكان حدث."

"وإن لم يحدث... فليس نصيبك."

ارتفع صوتها قليلاً، لكن بحب:
"الذي سيغير كل شيء... هو أن تقف على قدميك."

"استغل حزنك... وكن أقوى."

"أثبت لنفسك... قبل أي شخص... أنك تستطيع."

نهض علاء ببطء.

اتجه نحو الباب... وفتحه.

وجد والدته أمامه.

نظر إليها...
ثم ارتمى في حضنها.

وانهمرت دموعه أخيرًا.

مرت عدة أيام...

وبدأ علاء يعود تدريجيًا إلى حياته الطبيعية.

ذهب إلى عمله مرة أخرى، وعاد إلى روتينه المعتاد...
لكن كل شيء كان هادئًا أكثر من اللازم.

هدوء بلا سعادة...
وبلا أمل.

في نهاية يوم عمله ...

كان علاء يستعد للمغادرة، حين اقترب منه أحد زملائه وقال:
"ما رأيك أن أوصلك معي؟"

هزّ علاء رأسه مبتسمًا:
"لا، شكرًا... سأتمشى قليلاً."

خرج من العمل، ووضع سماعاته في أذنيه.

بدأ يسير بلا وجهة محددة...

فجأة—

قطع هدوءه صوت قطّة تصرخ بصوت عالٍ.

توقف.

نزع السماعات، واستمع جيدًا.

الصوت كان قريبًا... وملئيًا بالخوف.

تحرك نحو مصدره، حتى وجد قطّة عالقة فوق شجرة.

نظر إليها، وقال بهدوء:
"حسنًا... يبدو أنك في ورطة."

اقترب، وبدأ يساعدها.

وبعد عدة محاولات، تمكن أخيرًا من إنزالها.

ما إن قفزت القطة بعيدًا...

حتى سقط شيء من أعلى الشجرة—

واصطدم برأسه.

تراجع خطوة، ثم قال ضاحكًا:
"هل أصبحت أنا نيوتن هذا العصر أم ماذا؟"

انحنى ليرى ما سقط...

كانت ساعة.

ساعة قديمة... غريبة الشكل... ومغطاة بالتراب.

أمسك بها، وتأملها، ثم قال:
"حتى الأشياء التي أجدها... لا تعمل."

تنهد:
"لا بأس... سأأخذها معي."

بعد قليل...

كان علاء في غرفته.

جلس على سريره، وأمسك الساعة بين يديه.

أحضر قطعة قماش، وبدأ يمسح عنها التراب ببطء.

ومع كل لمسة...

كانت تفاصيلها تظهر أكثر.

ثم—

فجأة.

ظهر ضوء.

ضوء قوي... غريب.

تجمد علاء.

نظر إليها بدهشة...

لكن الضوء ازداد.

حاول أن يبتعد—

لكن...

في لحظة واحدة...

اختفى.

اختفى علاء من غرفته...
وكأن لم يكن هناك من الأساس. فتح علاء عينيه ببطء...

القاهره القديمه "

كان يشعر بثقل في رأسه، وكان شيئاً اصطدم به منذ لحظات.

حاول أن يتحرك...
نجح بصعوبة.

جلس في مكانه، وبدأ ينظر حوله.

سكون.

لا صوت... سوى هواء خفيف يحرك الرمال من حوله.

عقد حاجبيه.

"أنا فين؟"

حاول أن يتذكر ما حدث...

الساعة... الضوء...

ثم لا شيء.

وقف على قدميه، وهو يمسك رأسه.

نظر حوله مرة أخرى.

المكان كان غريباً... أرض شبه خالية، لا مبانٍ حديثة، ولا أصوات سيارات، ولا أي شيء مألوف.

تنهد:
"يمكن... حلم."

بدأ يمشي ببطء.

كل خطوة كانت تزيد إحساسه بأن هناك شيئاً غير طبيعي.

ملابسه نفسها بدت غريبة وسط هذا المكان.

مرّت دقائق...

حتى لمح شيئاً من بعيد.

ناس.

تجمع صغير.

تردد لحظة... ثم قرر أن يقترب.

كلما اقترب... بدأت الأصوات تتضح.

أصوات رجال... حديث متوتر.

توقف فجأة.

الملابس...

لم تكن طبيعية.

نظر إلى نفسه، ثم إليهم.

"إيه ده...؟"

همس بها لنفسه.

لكن قبل أن يفهم أكثر—

جاء صوت حاد:

"أنت هناك! توقف!"

تجمد علاء في مكانه.

التفت ببطء...

وجد رجلين يقتربان منه بسرعة، ملامحهما حادة، وملابسهما تشبه الجنود.

نظر أحدهما إليه بشك:
"من أنت؟"

ارتبك علاء:
"أنا... أنا كنت ماشي بس."

تبادل الرجلان النظرات.

"ماشي؟ هنا؟"

ابتلع علاء ريقه:
"آه... تايه شوية."

اقترب أحدهما أكثر، وهو ينظر إلى ملبسه:
"ملابسك غريبة... من أي بلد أنت؟"

لم يعرف ماذا يقول.

الصمت كان أسوأ.

فجأة—

جاء صوت من الخلف.

صوت قوي... هادئ في نفس الوقت:

"اتركوه."

سكت الجميع.

تراجع الجنديان قليلاً.

تقدم رجل بخطوات ثابتة.

هيئته كانت واضحة... حتى قبل أن يتكلم.

نظر إلى علاء نظرة طويلة... وكأنه يقرأه.

ثم قال:
"يبدو أنه ليس من هنا."

شعر علاء بشيء غريب...
خليط من الخوف والراحة في نفس الوقت.

سأله الرجل:
"ما اسمك؟"

تردد لحظة، ثم قال:
"علاء."

هزّ الرجل رأسه ببطء.

ثم قال:
"وكيف جئت إلى هنا يا علاء؟"

فتح علاء فمه... ثم أغلقه.

لم يكن لديه إجابة.

نظر حوله مرة أخرى...

ثم عاد بعينه إلى الرجل.

ولأول مرة...

بدأ يشك.

"أنا... فين؟"

سادت لحظة صمت.

نظر الرجل إليه... ثم قال بهدوء:

"أنت في المكان الذي لا يصل إليه أحد... إلا لسبب."

تجمد علاء.

لم يفهم الجملة...

لكنها لم تكن مريحة.

ثم أشار الرجل للجنديين:
"خذوه."

اقتربا منه.

لم يقاوم.

كان عقله مشغولاً بشيء واحد فقط—

"إيه اللي بيحصل؟" سار علاء بين الجنديين بصمت...

كان يحاول أن يبدو هادئاً، لكن داخله كان في فوضى كاملة.

نظر إلى ملابسهم مرة أخرى، ثم همس لنفسه:
"هو أنا دخلت فيلم تاريخي ولا إيه؟"

لم يرد عليه أحد... لكن أحد الجنديين التفت إليه فجأة:
"ماذا قلت؟"

ارتبك علاء بسرعة:
"ولا حاجة... كنت بكلم نفسي."

نظر إليه الجندي باستغراب:
"تتكلم مع نفسك؟"

تنهد علاء:
"أيوه... دي عادة قديمة. مش مضرة."

هزّ الجندي رأسه وكأنه غير مقتنع، ثم أكمل السير.

بعد دقائق...

وصلوا إلى مكان أشبه بمعسكر بسيط.

خيام... رجال... حركة منظمة.

كل شيء كان مختلفًا... مختلفًا جدًا.

توقف علاء.

نظر حوله ببطء.

ثم قال بصوت منخفض:
"لا... ده مش طبيعي."

اقترب منه أحد الجنديين ودفعه بخفة:
"تحرك."

تمتم علاء:
"حاضر يا باشا... إحنا ما صدقنا لقينا حد بيتكلم."

دخل علاء إلى خيمة.

وقف في المنتصف، بينما خرج الجنديان.

لم يكن هناك أحد.

أخذ نفساً عميقاً، وبدأ يدور حول نفسه.

"طيب... خيلنا نفهم."

نظر إلى يده...

فتجمد.

الساعة.

كانت في معصمه.

لم يتذكر أنه ارتداها.

رفعها ببطء.

نظر إليها بدهشة:
"هي... إزاي لبستها؟"

حاول أن يخلعها.

مرة... واثنين...

لكنها لم تتحرك.

شدّها أكثر:
"اطلعي... مش وقتك خالص."

لم يحدث شيء.

نظر إليها بضيق:
"جميل... فعلا من عاب علي شئ ابتلاه."

حاول مرة أخيرة، ثم تنهد:
"تمام... هناجل الموضوع ده."

فجأة—

دخل الرجل مرة أخرى.

نفس الهيبة... نفس الهدوء.

توقف أمام علاء.

نظر إليه، ثم قال:
"يبدو أنك بدأت تدرك أن هناك شيئًا غير طبيعي."

ابتلع علاء ريقه:
"هو... إحنا فين؟"

نظر الرجل إليه قليلاً، ثم قال:
"قبل أن تسأل أين... يجب أن تخبرني أنت من تكون."

سكت علاء.

ثم قال بتردد:
"أنا... اسمي علاء. من القاهرة."

عقد الرجل حاجبيه:
"القاهرة؟"

ابتسم علاء بخفة:
"آه... مشهورة يعني."

لم يبتسم الرجل.

بل قال بهدوء:
"القاهرة التي أعرفها... ليست كما تتحدث عنها."

شعر علاء بشيء غريب في قلبه.

قال ببطء:
"إحنا في سنة كام؟"

ساد صمت قصير.

ثم قال الرجل:
"سنة 1881."

تجمد علاء.

"كام؟!"

اقترب خطوة:
"بتقول كام؟!!"

رد الرجل بنفس الهدوء:

"1881."

ضحك علاء فجأة.

ضحكة غير مفهومة:
"حلوة... حلوة جدًا. مقلب حلو."

نظر حوله:
"فين الكاميرات بقي؟"

لم يرد أحد.

سكت تدريجيًا...

ونظر إلى الساعة في يده.

ثم إلى الرجل.

ثم إلى المكان كله.

واختفت ابتسامته.

"أنت... مش بتهزر، صح؟"

لم يجب الرجل.

لكنه قال جملة واحدة:

"يبدو أنك لست من هذا الزمن."

سقطت الكلمات على علاء كالصاعقة.

نظر إلى يده مرة أخرى...

إلى الساعة.

وشعر لأول مرة...

بالخوف الحقيقي.

وقف علاء مكانه...

عيناه لا تفارقان الرجل.

كان هناك شيء مألوف في ملامحه...
شيء رآه من قبل.

لكنه لم يستطع تحديده.

اقترب خطوة، وهو يحدق فيه أكثر.

"هو أنا... شفتك قبل كده؟"

نظر الرجل إليه دون أن يجيب.

أما علاء... فكان غارقاً في التفكير.

"فين...؟"

عقد حاجبيه، وبدأ يتمتم:
"مش فيلم... ولا مسلسل..."

وفجأة—

اتسعت عيناه.

"كتاب!"

نظر إليه مرة أخرى، وكأنه يحاول التأكد:
"أيوه... أيوه أنا شفتك!"

اقترب أكثر، دون وعي:
"إنت... إنت شبه واحد..."

توقف فجأة.

نظر حوله... إلى الملابس... إلى المكان... إلى الجنود...

ثم عاد بعينه إليه.

وصوته خرج أهدأ هذه المرة:
"أحمد... عرابي؟"

ساد صمت.

الجنود نظروا لبعضهم بدهشة.

أما الرجل...

فلم تتغير ملامحه.

لكنه قال بهدوء:
"ومن أخبرك بهذا الاسم؟"

تراجع علاء خطوة.

بدأ قلبه يدق بسرعة.

"لا... لا لا لا..."

وضع يده على رأسه:
"ده بجد بقى؟!"

نظر إليه مرة أخرى، وقال بتوتر ممزوج بذهول:
"أنا... أنا شفتك في كتاب الدراسات."

صمت الجميع.

"كنت لابس زي كده... وكان مكتوب تحت الصورة: أحمد
عرايبي."

اقترب أحد الجنود فجأة:
"كيف تعرف اسم القائد؟!"

ابتلع علاء ريقه:
"القائد؟!"

بصوت منخفض لنفسه:
"يا نهار أبيض... ده بجد!"

رفع عينيه إليه مرة أخرى:
"يعني... إنت فعلاً...؟"

قاطعه الرجل بهدوء:
"نعم."

تجمد علاء.

شعر وكأن الأرض تتحرك تحته.

"أنا... في 1881... واقف قدام أحمد عرابي؟"

نظر إلى يده...

إلى الساعة.

ثم قال بنبرة شبه منهارة:
"أنا شكلي لبست في مصيبة سودة."

اقترب عرابي منه خطوة.

"إذا كنت تعرفني... فلا بد أنك تعرف ما يحدث الآن."

ارتبك علاء:
"آه... لا... يعني... شوية."

همس لنفسه:
"كنت بنام في الحصّة أصلاً."

نظر إليه عرابي:
"ماذا قلت؟"

ابتسم علاء بسرعة:
"ولا حاجة... معلومات خفيفة كده."

نظر إليه عرابي بتمعن، ثم قال:
"إما أنك تقول الحقيقة... أو أنك تخفي شيئاً."

سكت لحظة، ثم أضاف:
"وفي كلتا الحالتين... ستبقى تحت المراقبة."

تنهد علاء:
"تمام... يعني أنا مش ماشي دلوقتي، صح؟"

لم يرد أحد.

مرّ الليل ببطء...

وبعد كل ما حدث، لم يشعر علاء بنفسه.

جلس في مكانه لبعض الوقت، يراقب الحركة حوله...
ثم بدأ الإرهاق يتسلل إليه تدريجياً.

عيناه أصبحتا ثقيلتين.

الأصوات بدأت تبتعد...

والأفكار تتداخل.

"هو أنا فعلاً هنا؟..."

كانت آخر فكرة خطرت على باله...

قبل أن يغفو.

استيقظ علاء على ضوء الشمس.

فتح عينيه ببطء، وهو يشعر بثقل في جسده.

نظر حوله...

الخيمة... كما هي.

كل شيء حقيقي.

تنهد:

"تمام... مفيش حلم."

جلس، وهو يفرك عينيه.

ثم نظر إلى يده...

الساعة.

ما زالت في مكانها.

لم تتغير.

همس:

"واضح إنك مكلمة معايا للآخر."

وقف ببطء، وخرج من الخيمة.

كان الصباح هادئاً.

الجنود يتحركون بشكل منظم...
بعضهم يتدرب، والبعض الآخر يتحدث.

لكن الأجواء... لم تكن عادية.

كان هناك توتر خفي.

نظر إليه بعض الجنود باستغراب.

همس أحدهم لزميله:
"هذا هو الغريب."

تنهد علاء:
"تمام... بقيت معروف."

بعد قليل...

جاء أحد الجنود:
"القائد يريدك."

أوماً علاء:
"تمام... جاي."

تحرك معه، حتى وصل إلى خيمة عرابي.

دخل.

وقف في مكانه.

نظر إليه عرابي، وقال:
"اجلس."

جلس علاء بهدوء.

ساد صمت قصير...

ثم قال عرابي:
"أريد أن أفهم."

رفع علاء عينيه:
"وأنا كمان."

تبادل الاثنان نظرة سريعة.

ثم قال علاء:
"بص... اللي هقوله ممكن بيان غريب."

لم يرد عرابي.

أكمل:
"أنا... مش من الزمن ده."

سكت لحظة، يراقب رد الفعل.

لكن عرابي ظل هادئاً.

فأكمل:

"أنا كنت في وقت ثاني... زمن مختلف."

وأشار إلى الساعة في يده:

"والساعة دي... هي السبب."

نظر عرابي إليها باهتمام.

"كيف؟"

تنهد علاء:

"مش عارف بالتحديد... بس لقيتها، ولما نظفتها... حصل نور قوي."

سكت لحظة.

"وبعدها... لقيت نفسي هنا."

نظر إليه عرابي طويلاً.

ثم قال:
"وهل تتوقع أن أصدق هذا؟"

ابتسم علاء ابتسامة خفيفة:
"بصراحة... لو أنا مكانك مش هصدق."

سكت لحظة، ثم أضاف:
"بس مفيش تفسير ثاني."

نظر عرابي إلى الساعة مرة أخرى.

ثم قال:
"وهل تستطيع العودة؟"

أجاب علاء:
"مش عارف... حاولت أشيلها، بس مش بتتفك."

حاول مرة أخرى ألامه...

لكنها ظلت ثابتة.

تنهد:
"أهو... زي ما أنت شايف."

ساد الصمت.

ثم قال عرابي:
"إذا كان ما تقوله صحيحًا... فأنت تحمل معرفة لا نملكها."

نظر إليه علاء:
"ممكّن... بس مش كل حاجة."

ثم أضاف بخفة:
"أنا أصلاً كنت بنسى المنهج بعد الامتحان على طول."

نظر إليه عرابي، وكأنه لم يفهم الجملة تمامًا...

لكن لم يعلق.

قال فقط:
"حتى القليل... قد يغير الكثير."

شعر علاء بثقل الكلام.

ثم قال بهدوء:
"وأنا مش عايز أعمل حاجة غلط."

نظر إليه عرابي:
"الخطأ... أنك تخفي ما تعرفه."

سكت لحظة، ثم أضاف:
"ستبقى معي... حتى نفهم حقيقة أمرك."

تنهد علاء:
"واضح إنني مش ماشي قريب."

نظر مرة أخرى إلى الساعة...

وشعر أن كل شيء بدأ منها.

لكن هذه المرة...

بدأ يدرك—

أن القادم...

قد يكون أخطر بكثير.
فقال وهو يهز رأسه:
"حلو... حلو جدًا."

نظر مرة أخرى إلى الساعة...

وشعر أن كل شيء بدأ منها.

لكن السؤال الذي لم يجد له إجابة—

"هخرج من هنا إزاي؟"
مرّت لحظات من الصمت...

ثم أشار عرابي لأحد الجنود:
"اتركنا."

خرج الجميع من الخيمة، وبقي علاء وحده معه.

نظر إليه عرابي طويلاً، ثم قال:
"إن كنت صادقاً... وتعرف ما لا نعرفه... فلا بد أن تثبت ذلك."

ابتلع علاء ريقه:
"كيف؟"

اقترب عرابي خطوة.

"هناك تحركات مريبة في المنطقة... وجنود قد يهاجموننا في أي وقت."

سكت لحظة، ثم أضاف:
"إن كنت تعلم شيئاً... فقل."

شعر علاء بثقل الموقف.

"أنا... لا أعرف كل شيء."

نظر إليه عرابي بثبات:
"قل ما تعرفه فقط."

تنهد علاء، ثم قال ببطء:
"في الوقت الذي جنُّ منه... قرأنا أن الأمور كانت متوترة جداً في
هذه الفترة."

سكت لحظة، يحاول ترتيب أفكاره.

"وكان هناك صدام... بينكم وبين السلطة."

لم تتغير ملامح عرابي، لكنه قال:
"أكمل."

قال علاء:

"أظن... أن الخطر لن يأتي بشكل مباشر... بل سيكون هناك تحرك مفاجئ."

اقترب أكثر، وأضاف:
"ربما في الليل."

ساد الصمت.

نظر عرابي إليه بتركيز شديد.

ثم قال:
"ولماذا الليل؟"

تردد علاء، ثم قال:
"لأنه الوقت الذي يقل فيه الانتباه... ويكون الهجوم فيه أسهل."

ظل عرابي صامتًا لثوانٍ.

ثم التفت نحو باب الخيمة، ونادى:
"أدخلوا."

دخل الجنود.

قال عرابي بهدوء:

"ضاعفوا الحراسة هذه الليلة."

نظر أحد الجنود بدهشة:
"هل هناك أمر يا سيدي؟"

أجاب:
"افعلوا ما أقول."

خرج الجنود سريعاً.

أما علاء...

فشعر بشيء من التوتر.

همس لنفسه:
"يا رب أكون مش بهيد."

مرّ الوقت ببطء...

حلّ الليل.

وكان الهدوء يسيطر على المكان.

لكن فجأة—

صوت حركة.

ثم صياح.

"هجوم!"

انتفض الجميع.

تحرك الجنود بسرعة.

أصوات الاشتباك بدأت ترتفع.

أما علاء...

فوقف في مكانه، مذهولاً.

"هو... أنا قولت كده فعلاً؟"

نظر حوله بتوتر.

ثم انحنى فجأة عندما مرّ أحدهم بجواره مسرعًا.

"تمام... دي مش لعب."

بعد دقائق...

بدأ الهدوء يعود تدريجيًا.

دخل أحد الجنود إلى الخيمة، وقال:
"تم صدّ الهجوم."

توقف لحظة، ثم أضاف:
"وكانوا يحاولون التسلل ليلاً... كما توقعت."

نظر عرابي إلى علاء.

نظرة مختلفة هذه المرة.

ليست شكًا... بل اهتمام.

اقترب منه ببطء.

وقال:
"يبدو أنك... تعلم أكثر مما تقول."

لم يجد علاء ما يقوله.

فاكتفى بنظرة متوترة.

ثم قال بهدوء:
"أخبرتكَ... أنا أعرف بعض الأمور فقط."

ظل عرابي ينظر إليه.

ثم قال:
"من الآن فصاعدًا... ستبقى قريبًا مني."

تجمد علاء:
"قريبًا...؟"

أكمل عرابي:
"حتى أفهم... من أنت حقًا."

تنهد علاء بهدوء:
"واضح أن الموضوع... لن يكون بسيطاً."

نظر مرة أخرى إلى الساعة في معصمه.

وشعر...

أن كل خطوة يخطوها...
تأخذه أعمق في شيء لا يفهمه.
جاء صباح اليوم الثالث...

لم يعد علاء يشعر بنفس الارتباك الذي كان في البداية.

جلس قليلاً، ثم قال بهدوء:
"واضح إنني بدأت أتعود."

نظر إلى الساعة في معصمه... ما زالت كما هي.

تنهد، ثم نهض.

بعد قليل...

وقف أمام عرابي، الذي قال له:
"ستأتي معي."

سأله علاء:
"إلى أين؟"

أجاب:
"إلى القاهرة."

ابتسم علاء بخفة:
"تمام... دي حاجة كويسة اشوف شكل القاهرة زمان."

كان الطريق طويلاً نسبياً...

لكن مع اقترابهم، بدأت ملامح المدينة تظهر.

بيوت متقاربة... طرق ضيقة... أصوات باعة.

القاهرة... لكن بشكل لم يره من قبل.

نظر علاء حوله بدهشة:
"غريبة... بس جميلة."

لم يعلّق عرابي، واكتفى بالمشي.

مرّا وسط السوق...

أصوات الناس... حركة مستمرة... حياة بسيطة لكنها مليئة بالتفاصيل.

فجأة توقّف عرابي.

"هل أكلت؟"

هزّ علاء رأسه:
"لا... جعان بصراحة بقالي يومين."

أشار عرابي إلى أحد الباعة.

جلسا أمامه.

وُضع أمام علاء طبق من الفول والطعمية.

نظر إليه، ثم ابتسم:
"واضح إن في حاجات مبتتغيرش."

أخذ لقمة...

ثم قال بدهشة:
"نفس الطعم فعلاً!"

نظر إليه عرابي:
"ولماذا يتغير؟"

هزّ علاء كتفيه:
"كنت فاكّر كل حاجة هتبقى مختلفة."

بعد أن انتهى...

وقف علاء، ونظر حوله.

كان يحاول أن يستوعب المكان.

وفجأة—

توقّف.

على بُعد خطوات...

كانت تقف فتاة.

لم يكن يعرف لماذا انتبه لها وسط كل هذا الزحام.

لكنها...

كانت مختلفة.

ملامحها هادئة... عيناها تحملان شيئاً لا يفهمه.

شعر بشيء غريب في داخله.

لم ينتبه لما حوله.

فقط... ينظر.

"هي..."

لم يكمل.

أخذ خطوة صغيرة نحوها.

قلبه بدأ يدق أسرع.

لم يفهم السبب... لكنه شعر بانجذاب واضح.

وكان عينيه رُبطتا بها.

وفي لحظة—

رفعت نظرها.

تقابلت أعينهما.

سكون.

ابتسمت.

ابتسامة خفيفة...

لكنها كانت كافية.

تجمد علاء.

"إيه الإحساس ده..."

همس بها دون وعي.

"علاء."

صوت عرابي قطعه.

التفت بسرعة:
"أيوه؟"

"تعال."

تحرك نحوه على مضض...

ثم عاد ينظر إلى مكانها.

لكن —

لم تكن هناك.

اختفت.

تمامًا.

عقد حاجبيه.

"راحت فين؟"

نظر يمينًا ويسارًا...

الناس كما هم... الحركة مستمرة...

لكنها لم تكن بينهم.

اختفت وكأنها لم تكن.

وقف لحظة...

ثم قال بهدوء:
"غريبة..."

لكنه لم يستطع أن يبعد الفكرة من رأسه.

ولا الإحساس الذي شعر به.

تحرك مع عرابي مرة أخرى.

سأله:
"ماذا هناك؟"

تردد علاء، ثم قال:
"ولا حاجة... بس كنت مركز في حاجة."

نظر إليه عرابي، لكنه لم يسأله أكثر.

أما علاء...

فكان صامتاً.

يفكر.

فيها.

وفي تلك اللحظة القصيرة...

التي لم يفهمها.

لكنه شعر —

أنها لن تكون الأخيرة.
عاد علاء مع أحمد عرابي إلى المعسكر...

كان الطريق أهدأ هذه المرة.

لكن عقل علاء... لم يكن كذلك.

صورة الفتاة لم تفارقه.

ولا إحساسه الغريب تجاهها.

عندما وصلا...

أشار عرابي إليه أن يجلس.

جلس علاء أمامه، وهو ما زال شاردًا.

لاحظ عرابي ذلك، فقال:
"يبدو أنك تفكر في شيء."

تنهد علاء:
"في حاجات كثير."

سكت لحظة، ثم قال:
"بس في حاجة واحدة مش مفهومة."

نظر إليه عرابي:
"تحدث."

رفع علاء عينيه، وقال بهدوء:
"الدنيا... هتتغير."

ظل عرابي صامتًا.

أكمل علاء:

"مش قصدي حاجة معينة... بس اللي أنا جاي منه مختلف جدًا."

سكت لحظة، يحاول أن يختار كلماته.

"الناس أكثر... الحياة أسرع... وكل حاجة بقت أسهل... وفي نفس الوقت أصعب."

نظر إليه عرابي بتركيز.

"كيف ذلك؟"

ابتسم علاء ابتسامة خفيفة:
"مش عارف أشرحها بالضبط... بس كأن كل حاجة بقت قريبة...
والناس بقت بعيدة."

سادت لحظة صمت.

ثم قال عرابي:
"وهل أصبح الناس أفضل؟"

تردد علاء...

ثم قال:
"في ناس... وفي ناس."

هزّ عرابي رأسه ببطء.

ثم قال:
"هذا لم يتغير إذن."

نظر إليه علاء.

أكمل عرابي:
"الزمن يتغير... لكن الإنسان لا يتغير بسهولة."

سكت لحظة، ثم أضاف:
"العدل... والخوف... والطمع... كلها تبقى."

شعر علاء أن الكلام أثقل مما يبدو.

ثم قال:
"بس في حاجات اتحسننت..."

نظر إليه عرابي:
"وما هي؟"

قال علاء:
"الفرص... بقت أكثر."

ثم أضاف بخفة:
"بس برضه مش سهلة."

ابتسم عرابي ابتسامة خفيفة لأول مرة.

"إذن... الصراع مستمر."

أوما علاء:
"واضح كده."

ساد الصمت للحظات...

ثم وقف عرابي.

"يكفي لهذا اليوم."

نظر إلى علاء:
"ستبقى هنا... وارتح."

أوما علاء:

"تمام."

تحرك عرابي نحو الخارج.

وقبل أن يخرج، قال:
"تذكر... ليس كل ما تعرفه يجب أن يُقال."

نظر إليه علاء بصمت.

ثم خرج عرابي.

بقي علاء وحده.

نظر حوله...

الخيمة هادئة.

جلس قليلاً... ثم نظر إلى الساعة.

"واضح إنك مش ناوية تخلصي."

رفع يده...

تأملها.

وفجأة—

اهتز الضوء.

خفيف... لكن واضح.

تجمد علاء.

"استنني..."

الضوء ازداد.

حاول أن يتحرك...

لكن جسده لم يستجب.

"مش دلوقتي..."

ثانية واحدة—

واختفى.

بعد لحظات...

عاد عرابي.

دخل الخيمة.

نظر حوله.

توقف.

المكان... فارغ.

اقترب خطوة.

"علاء؟"

لا رد.

نظر إلى المكان الذي كان يجلس فيه.

ثم إلى الأرض.

ثم قال بهدوء:
"كما توقعت..."

سكت لحظة.

ثم أضاف:
"لم يكن من هذا الزمن."

وقف في مكانه قليلاً...

ثم خرج.

لكن هذه المرة—

وعيناه تحملان شيئاً مختلفاً.

تفكيراً...

وترقبًا.

لم يشعر علاء بشيء...

فقط الضوء.

هذه المرة كان أقوى... كأنه يمزق الزمن من حوله.

ثم—

سكون.

حواري أوروبا "

فتح عينيه ببطء...

أرض مختلفة.

مبانٍ مرتبة... طرق ممهدة... أناس بملابس لم يعتد عليها.

جلس ببطء، وهو ينظر حوله بذهول.

"أنا... فين؟"

وقف على قدميه، يحاول استيعاب المكان.

"دي مش مصر... أكيد مش مصر."

تحرك خطوات قليلة...

حتى—

توقف فجأة.

رأى رجلاً يقف على بُعد أمتار.

شعره غير مرتب... ملامحه هادئة... يحمل أوراقًا.

لكن—

شيء فيه...

مألوف بشكل غريب.

اقترب علاء خطوة... ثم أخرى.

عيناه لا تفارقان الرجل.

"لا..."

همس بها.

"مستحيل..."

اتسعت عيناه.

قلبه بدأ يدق بسرعة.

ثم قال بصوت مرتجف:
"إنت..."

تقدم خطوة أخيرة.

"إنت... أينشتاين!"

في اللحظة نفسها—

اسودّ كل شيء.

وسقط علاء أرضاً.

فتح عينيه ببطء...

سقف خشبي.

مكان هادئ.

حاول أن يتحرك...

لكن رأسه كان ثقیلاً.

سمع صوتاً قريباً منه:

"Are you awake?"

(هل أنت مستيقظ؟)

حرك عينيه...

فراه.

نفس الرجل.

واقف أمامه.

ابتلع علاء ريقه، ثم قال:

"Yeah... I think so."

(أيوه... أعتقد كده)

اقترب أينشتاين قليلاً.

"Good. You fainted in the street."

(جيد. لقد أغمي عليك في الشارع)

نظر علاء حوله:

"Where... am I?"

(أنا... أين؟)

أجاب أينشتاين:

"In my house."

(في منزلي)

تجمد علاء للحظة...

ثم قال ببطء:

"Your house...?"

(بيتك...؟)

هزّ أينشتاين رأسه:

"Yes. I couldn't leave you there."

(نعم. لم أستطع أن أتركك هناك)

سكت علاء لحظة...

ثم نظر إليه مباشرة:

"You're... Einstein, right?"

(أنت... أينشتاين، صح؟)

توقف أينشتاين قليلاً.

نظر إليه بتركيز.

"Yes... but how do you know my name?"

(نعم... لكن كيف تعرف اسمي؟)

تنهد علاء:

"It's a long story."

(حكاية طويلة)

اقترب أينشتاين أكثر، وعينه تركزان عليه:

"I have time."

(الذي وقت)

سكت علاء لحظة...

ثم قال:

"You won't believe me."

(لن تصدقني)

أجابه أينشتاين بهدوء:

"I prefer facts."

(أنا أفضل الحقائق)

نظر علاء إليه...

ثم رفع يده، وأشار إلى الساعة.

"This... is the reason."

(دي... هي السبب)

اقترب أينشتاين فوراً.

نظر إلى الساعة باهتمام شديد.

لمسها بحذر...

ثم قال:

"This is not ordinary."

(هذه ليست شيئاً عادياً)

شعر علاء بالتوتر:

"I know..."

(أنا عارف...)

ثم قال ببطء:

"I'm not from this time."

(أنا مش من الزمن ده)

ساد الصمت.

نظر إليه أينشتاين...

لكن هذه المرة لم يضحك.

لم يسخر.

بل قال بهدوء:

"Then we must understand it."

(إذا... يجب أن نفهم ذلك)

جلس علاء في مكانه...

ينظر إليه.

وشعر بشيء جديد هذه المرة —

ليس خوفًا...

بل قلقًا.

لأنه —

هذه المرة...

الشخص الذي أمامه...

قد يفهم كل شيء.
جلس علاء على السرير، ما زال يحاول استيعاب كل شيء...

نظر إلى أينشتاين، ثم قال:

"What year is it?"

(إحنا في سنة كام؟)

نظر إليه أينشتاين لحظة، ثم أجاب بهدوء:

"It is 1904."

(نحن في عام 1904)

تجمّد علاء.

اتسعت عيناه تدريجيًا.

"1904..."

كررها بصوت منخفض.

ثم قال وهو ينظر إليه بدهشة واضحة:

"So... you haven't... discovered it yet?"

(يعني... لسه ما اكتشفتش الحاجات بتاعتك؟)

عقد أينشتاين حاجبيه قليلاً:

"Discovered what?"

(اكتشفت إيه؟)

توتر علاء، ثم قال بسرعة:

"I mean... nothing... just theories..."

(قصدي... ولا حاجة... مجرد توقعات)

نظر إليه أينشتاين بتركيز أكبر هذه المرة.

تنهد علاء، ثم ابتسم فجأة وكأنه غير مستوعب الموقف:

"This is crazy..."

(ده جنان...)

ثم أضاف وهو ينظر إليه مباشرة:

"I'm sitting in front of... the smartest man in history."

(أنا قاعد قدام أذكى رجل في التاريخ)

توقّف أينشتاين.

لم يبدُ عليه الانبهار...

بل الاستغراب.

"The smartest?"

(الأذكى؟)

أكمل علاء، بحماس واضح:

"Yes... people will study your brain... your ideas... everything."

(أيوه... الناس هتدرس دماغك... أفكارك... كل حاجة)

ساد الصمت.

نظر إليه أينشتاين طويلاً...

ثم قال بهدوء:

"You speak with certainty..."

(أنت تتحدث وكأنك متأكد...)

اقترب قليلاً، وعينه تلمعان بالفضول:

"Why would they study my brain?"

(ولماذا سيدرسون عقلي؟)

ابتلع علاء ريقه...

وأدرك أنه بدأ يقترب من كشف أشياء لا يجب أن تُقال.

فقال بحذر:

"Because... you will see things... differently."

(لأنك هتشوف الأشياء بشكل مختلف)

سكت لحظة، ثم أضاف:

"You'll change how people understand... time."

(هتغيّر فهم الناس... للزمن)

توقّف أينشتاين تمامًا.

كلمة واحدة فقط لفتت انتباهه—

"time."

(الزمن)

نظر فورًا إلى الساعة في يد علاء.

ثم عاد بعينه إليه.

وقال بهدوء، لكن بنبرة مختلفة:

"Is this about time?"

(هل هذا له علاقة بالزمن؟)

شعر علاء بالتوتر.

لكنه لم يرد.

اقترب أينشتاين أكثر...

ثم قال:

"If what you're saying is true..."

(لو اللي بتقوله صحيح...)

سكت لحظة، ثم أضاف:

"Then you are not just a man..."

(فأنت لست مجرد إنسان عادي...)

نظر إلى الساعة مرة أخرى...

وقال:

"You are a phenomenon."

(أنت ظاهرة)

جلس علاء في مكانه...

صامتًا.

ينظر إليه.

وشعر لأول مرة—

أن وجوده هنا...

لم يعد مجرد صدفة.

بل شيء —

سيتم فهمه.
نظر علاء إلى أينشتاين...

ثم بلع ريقه بصعوبة.

وفي داخله قال:
"ياريتني ما قلت له... شكله هيجرب عليّا ويخليني فأر تجارب."

حاول أن يحافظ على هدوئه...

لكن نظرات أينشتاين لم تكن مريحة.

اقترب أينشتاين قليلاً، ثم قال:

"Sit down."

(الجلس)

جلس علاء ببطء.

ثم قال أينشتاين:

"Start from the beginning."

(ابدأ من البداية)

تنهد علاء...

ثم بدأ يحكي.

عن حياته...

عن الساعة...

عن الضوء...

عن انتقاله...

عن ...

عن كل شيء.

كان أينشتاين يستمع...

بدون مقاطعة.

عيناه لا تتركان علاء.

بعد أن انتهى...

ساد صمت طويل.

ثم قال أينشتاين بهدوء:

"If this is true..."

(لو ده حقيقي...)

سكت لحظة، ثم أكمل:

"Then time is not what we think it is."

(يبقى الزمن مش زي ما إحنا فاهمينه)

نظر إليه علاء:
"يعني إيه؟"

(What do you mean?)

اقترب أينشتاين، وأمسك ورقة.

بدأ يرسم خطًا مستقيمًا.

ثم قال:

"People think time is like this... a straight line."

(الناس فاكدة إن الزمن زي ده... خط مستقيم)

ثم رسم انحناءة.

"But what if it's not?"

(لكن إيه لو مش كده؟)

نظر إلى علاء:

"What if time can bend... or connect different points?"

(إيه لو الزمن ممكن ينحني... أو يربط بين نقاط مختلفة؟)

شعر علاء أن رأسه يدور.

"يعني أنا... بتنقل بين النقط دي؟"

(So... I'm moving between these points?)

أجاب أينشتاين:

"Exactly."

(بالضبط)

ثم نظر فجأة إلى الساعة.

اقترب منها ببطء...

كأنها شيء ثمين جدًا.

"May I?"

(ممکن؟)

تردد علاء لحظة...

ثم قال:

"Okay... but it doesn't come off."

(تمام... بس هي مش بتتفك)

حاول أينشتاين لمسها...

تحريكها...

لكنها لم تتحرك.

عقد حاجبيه.

"Interesting..."

(مثير للاهتمام)

ثم قال:

"It's not just attached... it's integrated."

(دي مش متتبطة بس... دي جزء منك)

تجمد علاء:

"جزء مني؟!"

(Part of me?!)

لم يرد أينشتاين...

بل بدأ يلاحظ تفاصيلها بدقة.

قال بعدها:

"This device..."

(الجهاز ده...)

سكت لحظة، ثم أكمل:

"It doesn't follow known physics."

(مش ماشي على قوانين الفيزياء المعروفة)

نظر إلى علاء:

"It might be controlling your position in time."

(ممکن هو اللي بيتحكم في مكانك في الزمن)

شعر علاء بالتوتر:

"يعني أنا... مش مسيطر؟"

(So I'm not in control?)

أجاب أينشتاين:

"No."

(لا)

ثم أضاف:

"But we can try to understand it."

(بس نقدر نحاول نفهمه)

نظر علاء إليه...

ثم قال في نفسه:
"أنا لبست في موضوع كبير أوي."

ثم قال بصوت خافت:

"And... you won't experiment on me... right?"

(و... مش هتجرب عليّ صح؟)

نظر إليه أينشتاين...

ثم ابتسم ابتسامة خفيفة نادرة.

"I don't experiment on people..."

(أنا مش بجرّب على الناس...)

سكت لحظة...

ثم أضاف:

"Unless necessary."

(إلا لو اضطرّيت)

تجمد علاء:
"إلا لو إيه؟!"

(Unless what?!)

أما أينشتاين...

فكان ينظر إلى الساعة.

بعينين مليئتين بشيء واحد—

الفضول.

فضول...

قد يغيّر كل شيء.
مرّ الوقت...

وكان الليل قد بدأ يفرض هدوءه على المكان.

المنزل أصبح ساكنًا... لا يُسمع فيه سوى أصوات خفيفة من الخارج.

جلس علاء في مكانه، ينظر إلى الساعة في يده.

لم يتحرك.

لم يتغير شيء.

تنهد:
"أنا مش فاهم أي حاجة..."

في تلك اللحظة—

دخل الغرفة.

نظر إليه بهدوء، ثم قال:

"You look exhausted."

(يبدو عليك الإرهاق)

رفع علاء عينيه:

"Yeah... a little."

(أيوه... شوية)

اقترب أينشتاين خطوة، ثم قال:

"We will continue tomorrow."

(سنكمل غداً)

سكت لحظة، ثم أضاف:

"You need rest."

(أنت تحتاج للراحة)

نظر علاء إلى الساعة، ثم قال:

"And this?"

(والساعة دي؟)

أجابه أينشتاين بهدوء:

"It will still be there tomorrow."

(ستظل موجودة غدًا)

ثم أشار إلى الفراش:

"Sleep."

(نم)

نظر إليه علاء لحظة...

ثم هزّ رأسه:
"تمام."

(Alright)

استلقى على الفراش ببطء.

كان جسده متعباً فعلاً...

لكن عقله...

لم يتوقف.

نظر إلى السقف...

وأخذ يفكر.

في كل ما حدث...

رنا...

رفض والدها...

الساعة...

...

القاهرة...

ثم—

تنهد ببطء:

"أنا وصلت لده إزاي..."

سكت لحظة...

ثم قال في نفسه:

"ولو ده كله حقيقي... أنا رايح على فين بعد كده؟"

نظر إلى الساعة مرة أخيرة...

ثم أغمض عينيه.

الأفكار بدأت تهدأ تدريجيًا...

والتعب سيطر عليه.

حتى —

استسلم للنوم.

لكن —

في هدوء الليل...

كانت الساعة...

تلمع.

لمعة خفيفة.

كانها —

تستعد...

في نفس الوقت...

في الحاضر—

مرّ أربعة أيام.

أربعة أيام كاملة...

بدون أي أثر لعلاء.

بيت علاء "

داخل المنزل...

كان الصمت مسيطرًا.

صمت ثقيل...

ليس فيه راحة.

بل انتظار.

كانت والدته جالسة في مكانها...

تنظر إلى لا شيء.

لم تعد تسأل.

لم تعد تتكلم كثيرًا.

فقط تجلس...

وكأنها تستنزف كل طاقتها في الانتظار.

قالت بصوت ضعيف:
"مش معقول... أربعة أيام كده."

لم ينظر إليها والده...

كان جالساً، ساكناً، وعيناه ثابتتان أمامه.

ثم قال:
"أنا سألت كل اللي نعرفهم... محدش شافه."

سكت لحظة...

ثم أضاف:
"ولا حد سمع عنه حاجة."

رفعت الأم عينيها:

"طيب هو راح فين؟"

لم يجب.

هذه المرة—

لم يكن عنده أي تفسير.

في المساء...

رن الهاتف الأرضي.

ردّت ببطء:

"ألو..."

"طنط... هو علاء عندكم؟"

كان صديقه من الشغل.

أغمضت عينيها لحظة...

ثم قالت:
"لا... مش موجود."

جاء الصوت من الطرف الآخر:
"هو مجاش الشغل بقاله ٤ أيام... ومش بيرد على حد."

قالت بصوت مكسور:
"إحنا كمان مش عارفين هو فين."

في شركة الاتصالات...

كان زملاؤه يتحدثون بصوت منخفض.

"هو فين علاء؟"

"بقاله كذا يوم مختفي."

"غريبة... ده عمره ما يعمل كده."

قال أحدهم:
"أنا حاولت أوصل له... مفيش أي رد."

سكتوا جميعًا...

ثم قال واحد بصوت خافت:
"حاسس إن في حاجة غلط."

لم يرد أحد.

لكنهم جميعًا كانوا يفكرون في نفس الشيء.

عاد المشهد للمنزل...

كانت الأم ما زالت جالسة...

لكن هذه المرة—

وعيناها ممتلئتان بالدموع.

قالت:
"أنا حاسة إنه مش هيرجع."

رفع الأب عينيه بسرعة:
"متقوليش كده."

لكن صوته...

لم يكن قويًا.

سكت لحظة...

ثم قال بهدوء ثقيل:
"بكرة... هنبلغ."

لم تعترض.

لم تقل شيئًا.

فقط —

أومأت.

عاد الصمت.

لكن هذه المرة—

لم يكن انتظارًا.

بل كان...

بداية فقدان أمل.

العودة "

جاء يوم جديد علي علاء
فتح علاء عينيه ببطء...

الضوء كان هادئاً هذه المرة.

نظر حوله...

نفس الغرفة.

تنهد:
"تمام... أنا لسه هنا."

جلس على السرير، وهو يفرك عينيه.

"مش حلم..."

في الخارج—

كان هناك صوت خفيف.

نهض علاء ببطء، وخرج من الغرفة.

توقف عند الباب...

ينظر بدهشة.

كان يقف أمام طاولة صغيرة...

يُعد الطعام.

خبز... زبدة... جبن... وبعض البيض المسلوق... وكوب من الحليب.

فطار بسيط...

لكن مرتب.

نظر إليه أينشتاين دون أن يلتفت بالكامل:

"Good morning."

(صباح الخير)

رد علاء وهو ما زال مستغرباً:

"Morning..."

(صباح النور...)

ثم أضاف وهو يقترب:

"You cook?"

(إنت بتطبخ؟)

أجاب أينشتاين بهدوء:

"I prepare what is necessary."

(أنا أحضّر ما هو ضروري)

ابتسم علاء بخفة:

"يعني آه... بتطبخ."

جلس أمام الطعام.

نظر إليه قليلاً...

ثم قال:
"ده فطار أوروبى أصيل بقى."

لم يفهم أينشتاين الجملة، لكنه قال:

"Eat."

(كُل)

بدأ علاء يأكل...

ثم قال:
"بصراحة... بسيط بس حلو."

(It's simple... but good)

هزّ أينشتاين رأسه:

"Efficiency matters."

(الكفاءة هي الأهم)

ضحك علاء:
"حتى في الفطار؟"

(حتى في الأكل؟)

لم يرد أينشتاين...

لكن نظرتة كانت كافية.

بعد لحظات...

جلس أمامه، وقال:

"Tell me about your time."

(احكي لي عن زمنك)

توقف علاء عن الأكل قليلاً...

ثم قال:

"You mean... inventions?"

(تقصد الاختراعات؟)

أوماً أينشتاين:

"Yes."

(نعم)

فكر علاء لحظة...

ثم قال:

"Okay... you have cars... but not like ours."

(تمام... عندكم عربيات... بس مش زي اللي عندنا)

رفع أينشتاين حاجبه:

"Not like ours?"

(مش زي اللي عندنا؟)

أكمل علاء:

"They are much faster... and more advanced."

(أسرع بكثير... وأكثر تطورًا)

ثم أضاف:

"Some of them run on electricity... quiet, no horses at all."

(بعضها بيشتغل بالكهرباء... هادي، ومفيش خيول خالص)

توقف أينشتاين عن الحركة تمامًا.

"Electric... vehicles?"

(مركبات كهربائية؟)

أوماً علاء:

"أيوه... وبتبقى في كل مكان."

ثم قال بنبرة خفيفة:

"بس برضه الزحمة موجودة... يمكن أكثر."

(But traffic is still there... maybe worse)

نظر إليه أينشتاين بجدية:

"People control them?"

(الناس بـتتحكم فيها؟)

قال علاء:

"على حسب... في ناس آه... وفي ناس لأ "

ثم قال بحماس:

"And we have phones."

(وعندنا تليفونات)

قال أينشتاين:

"I know telephones."

(أنا أعرف التليفون)

ابتسم علاء:

"No... not like yours."

(لا... مش زي اللي عندك)

أخرج يده وكأنه يمسك شيئاً:

"Small... no wires... you touch it."

(صغير... من غير سلك... بتلمسه)

نظر إليه أينشتاين باهتمام:

"You touch it... and it works?"

(بتلمسه... ويشغل؟)

قال علاء:

"أيوه... وتكلم أي حد في أي مكان."

توقف أينشتاين.

ثم قال ببطء:

"Any... place?"

(أي مكان؟)

أوماً علاء:
"في العالم كله."

سكت أينشتاين لثوانٍ...

ثم قال:

"This changes communication entirely..."

(ده يغيّر التواصل بالكامل...)

نظر علاء إليه، ثم قال فجأة:

"وفيه حاجة كمان..."

(And there's more...)

اقترب قليلاً:

"You can see the person while talking."

(تقدر تشوف الشخص وانت بتكلمه)

تجمّد أينشتاين.

"See... him?"

(تشوفه؟)

أوماً علاء وهو يحاول يكتم ضحكته:
"أيوه... فيديو كول."

لم يفهم أينشتاين المصطلح...

لكن ملامحه كانت مزيجاً من الدهشة وعدم التصديق.

فجأة—

مدّ أينشتاين يده، وأمسك رأس علاء من الجانبين.

تجمّد علاء:
"إيه ده؟!!"

(What are you doing?!)

قال أينشتاين بتركيز شديد:

"I need to check something."

(محتاج أتأكد من حاجة)

قال علاء بخوف:
"إنت بتعمل إيه؟!!"

(What are you doing?!)

رد أينشتاين:

"If what you're saying is true... your brain must be extraordinary."

(لو اللي بتقوله حقيقي... دماغك لازم تكون غير عادية)

اتسعت عينا علاء:
"لا لا استنى... أنا طبيعي جدًا!"

(Wait! I'm normal!!)

سكت أينشتاين لحظة...

ثم تركه.

وقال بهدوء:

"Then the future is... extraordinary."

(يبقى المستقبل هو الغريب)

تنهد علاء، وهو يرجع لورا:
"كنت عارف... هيخليني فأر تجارب."

"I knew he'd make me a guinea pig."

ثم نظر إليه وقال:
"بس على فكرة... أنا غلبان."

But by the way, I'm poor

ضحك بخفة.

أما أينشتاين...

فلم يضحك.

كان يفكر.

بعمق.

أعمق مما يتخيل علاء.
استعد أين شتاين للخروج بعد أن انتهى من فطوره.

كان قد ارتدى معطفه واستعد لمغادرة المنزل.

نظر إليه علاء باستغراب وقال بالإنجليزية:

"Where are we going?"

(إلى أين سنذهب؟)

أجابه أينشتاين وهو يفتح الباب:

"We are going for a walk."

(سنخرج في جولة قصيرة.)

ثم أضاف:

"And I would like to show you the city."

(وأود أن أريك المدينة.)

خرج الاثنان إلى الشارع.

توقف علاء للحظة وهو ينظر حوله.

كانت المباني مختلفة عما اعتاده.

الشوارع أقل ازدحامًا.

والناس يسرون بهدوء دون عجلة.

مرت عربة تجرها الخيول أمامه، فتبعها بنظره للحظات.

ثم مرت سيارة قديمة تُصدر صوتًا مرتفعًا.

عقد حاجبيه وقال:

"So this is what the world looked like."

(إذًا هكذا كان يبدو العالم.)

سار أينشتاين إلى جواره وقال:

"What do you think?"

(ما رأيك؟)

نظر علاء حوله مرة أخرى قبل أن يجيب:

"It feels quieter."

(يبدو أكثر هدوءًا.)

ثم أضاف:

"In my time, people are always running."

(في زمني، الناس دائمًا يركضون.)

نظر إليه أينشتاين باهتمام.

فأكمل علاء:

"Work, money, appointments... everyone is chasing something."

(العمل، والمال، والمواعيد... الجميع يطارده شيئًا ما.)

هز أينشتاين رأسه ببطء.

ثم قال:

"Perhaps they believe they are saving time."

(ربما يعتقدون أنهم يوفرّون الوقت.)

نظر إليه علاء مبتسمًا ابتسامة خفيفة.

وقال:

"And yet they never seem to have enough of it."

(ومع ذلك لا يبدو أن الوقت يكفيهم أبدًا.)

مرّا بعد ذلك بعدة شوارع.

كان علاء ينظر إلى كل شيء وكأنه يراه للمرة الأولى.

واجهات المتاجر.

الملابس.

العربات.

المصاييح.

حتى الأطفال الذين يلعبون في الشارع.

كل شيء بدا مختلفًا.

وبعد فترة توقف أينشتاين أمام مطعم صغير.

ثم قال:

"Are you hungry?"

(هل أنت جائع؟)

نظر علاء إليه وقال:

"When am I not hungry?"

(ومتى لا أكون جائعاً؟)

نظر إليه أينشتاين لثوانٍ دون أن يفهم المقصود.

فأضاف علاء بسرعة:

"It means yes."

(أعني نعم.)

دخلوا المطعم وجلسا إلى طاولة خشبية بالقرب من النافذة.

وبعد دقائق وُضع الطعام أمامهما.

خبز طازج.

نقانق ألمانية.

بطاطس مطهية.

وأكواب من القهوة الساخنة.

نظر علاء إلى الطعام وقال:

"This smells good."

(تبدو رائحته شهية.)

أجابه أينشتاين:

"It is simple food."

(إنه طعام بسيط.)

قال علاء:

"Simple food is usually the best food."

(الطعام البسيط غالبًا هو الأفضل.)

بدأ الاثنان في تناول الطعام.

وبعد لحظات قال أينشتاين:

"Tell me more about your world."

(أخبرني المزيد عن عالمك.)

شرب علاء قليلاً من القهوة ثم قال:

"We have small devices that everyone carries."

(لدينا أجهزة صغيرة يحملها الجميع.)

سأله أينشتاين:

"The phones?"

(الهواتف؟)

أوماً علاء.

ثم قال:

"Yes. But they do much more than communication."

(نعم، لكنها تفعل أكثر بكثير من مجرد التواصل.)

عقد أينشتاين حاجبيه.

فأكمل علاء:

"You can read books on them."

(يمكنك قراءة الكتب عليها.)

"You can watch movies."

(ويمكنك مشاهدة الأفلام.)

"You can learn almost anything."

(ويمكنك تعلم أي شيء تقريبًا.)

"You can even see people while talking to them."

(ويمكنك حتى رؤية الأشخاص أثناء التحدث إليهم.)

توقف أينشتاين عن تناول الطعام.

وقال ببطء:

"Remarkable."

(مذهل.)

ثم أضاف:

"And everyone has one?"

(والجميع يملكون واحداً؟)

ابتسم علاء وقال:

"Almost everyone."

(تقريباً الجميع.)

ظل أينشتاين صامتاً للحظات.

واضح أنه يحاول تخيل الأمر.

ثم قال:

"Human knowledge must be growing very quickly."

(لا بد أن المعرفة البشرية تنمو بسرعة كبيرة.)

أجابه علاء:

"It does."

(هذا صحيح.)

سكت لحظة.

ثم أضاف:

"But sometimes people know more things and understand less."

(لكن أحيانًا يعرف الناس أشياء أكثر ويفهمون أقل.)

نظر إليه أينشتاين باهتمام.

ثم ظهرت على وجهه ابتسامة خفيفة.

وقال:

"That sounds like a timeless problem."

(يبدو أن هذه مشكلة لا يحدها زمن.)

ضحك علاء للمرة الأولى منذ بداية اليوم.

ثم عاد ينظر من النافذة.

إلى الشارع.

إلى المارة.

إلى ذلك العالم الذي ينتمي إلى الماضي.

بينما الساعة في يده...

كانت تبعث حرارة خفيفة.

حرارة لم يلاحظها بعد.

بعد أن انتهاء من الطعام...

غادر علاء و المطعم.

كانت الشمس تميل نحو الغروب، والشوارع أكثر ازدحاماً من
ساعات النهار.

كان أينشتاين يتحدث عن إحدى المسائل الرياضية التي تشغل
تفكيره.

أما علاء...

فكان نصف انتباهه فقط مع الحديث.

والنصف الآخر منشغلاً بمراقبة المدينة.

وفجأة...

توقف في مكانه.

كأن الزمن تجمد للحظة.

على الجانب الآخر من الشارع...

كانت فتاة تسير بين المارة.

شعر داكن.

ملامح هادئة.

ونظرة لم يستطع أن يخطئها.

اتسعت عينها علاء.

وشعر بقشعريرة تسري في جسده.

"لا..."

همس بها دون وعي.

كانت هي.

نفس الفتاة.

نفس الوجه الذي رآه في القاهرة...

في زمن أحمد عرابي.

تذكر ذلك اليوم فورًا.

حين لمحها بين الناس للحظات.

ثم اختفت قبل أن يفهم من تكون.

وقتها أقنع نفسه أنها مجرد مصادفة.

أما الآن...

فلم تعد مصادفة.

كيف يمكن أن تكون الفتاة نفسها؟

الملامح ذاتها.

العمر ذاته.

حتى النظرة نفسها.

تسارعت أنفاسه.

ونسى أينشتاين تمامًا.

بدأ يتحرك خلفها بين المارة.

عيناه لا تفارقانها.

كانت تسير بهدوء.

دون أن تلتفت.

وكأنها لا تشعر بوجوده.

أسرع علاء خطواته.

وهو يحاول الاقتراب منها.

لكن فجأة...

مرت عربة بينهما.

ثم تجمع عدد من الناس في الطريق.

ولثوانٍ قليلة...

اختفت عن نظره.

أسرع أكثر.

حتى وصل إلى المكان الذي كانت فيه.

ثم توقف.

نظر يمينًا.

ثم يسارًا.

ثم خلفه.

لم تكن هناك.

اختفت.

مرة أخرى.

وكانها لم تكن موجودة أصلاً.

وقف مكانه مذهولاً.

وقال بصوت منخفض:

"مستحيل..."

"شوفتها بعيني."

وبينما كان يحاول استيعاب ما حدث...

جاءه صوت من خلفه.

"Where have you been?"

(أين كنت؟)

التفت بسرعة.

ليجد أينشتاين يقف خلفه.

تبدو عليه علامات القلق.

وقال أينشتاين:

"I have been looking for you."

(لقد كنت أبحث عنك.)

زفر علاء براحه.

ثم نظر مرة أخرى إلى المكان الذي اختفت فيه الفتاة.

سأله أينشتاين:

"What happened?"

(ماذا حدث؟)

تردد علاء للحظة.

ثم قال:

"I saw someone."

(رأيت شخصًا.)

"Someone you know?"

(شخصًا تعرفه؟)

هز علاء رأسه ببطء.

وقال:

"No..."

(لا...)

ثم أضاف:

"But I saw her before."

(لكنني رأيتها من قبل.)

عقد أينشتاين حاجبيه.

وقال:

"Before?"

(من قبل؟)

نظر علاء إلى الشارع الفارغ أمامه.

ثم قال بصوت خافت:

"In another time."

(في زمن آخر.)

ساد الصمت بينهما.

أما أينشتاين...

فنظر إلى علاء طويلاً.

لأول مرة...

شعر أن لغز الساعة ربما ليس أغرب شيء في هذه القصة.

فقد تكون تلك الفتاة...

لغزًا أكبر.
عاد علاء و إلى المنزل مع اقتراب المساء.

كان الصمت يسيطر على الطريق.

علاء ما زال يفكر في الفتاة التي رآها.

أما أينشتاين...

فكان يفكر في شيء آخر تمامًا.

الساعة.

بعد وصولهما...

جلس أينشتاين إلى مكتبه.

وأخرج بعض الأوراق.

بينما جلس علاء على مقعد قريب منه.

مرت عدة دقائق دون أن يتحدث أحد.

فجأة رفع أينشتاين رأسه.

وقال:

"I need to ask you something."

(أحتاج أن أسألك شيئاً.)

نظر إليه علاء.

"Go ahead."

(تفضل.)

أشار أينشتاين إلى الساعة الملتصقة بمعصمه.

ثم قال:

"When did you arrive in Egypt's past?"

(متى وصلت إلى الماضي في مصر؟)

فكر علاء قليلاً.

ثم قال:

"It was around noon."

(كان الوقت يقارب الثانية عشرة ظهرًا.)

أمسك أينشتاين قلمًا وكتب شيئًا على الورقة.

ثم سأل:

"And when did you arrive here?"

(ومتى وصلت إلى هنا؟)

أجاب علاء:

"Around noon as well."

(قراية الثانية عشرة ظهرًا أيضًا.)

توقفت يد أينشتاين فجأة.

ثم رفع رأسه ببطء.

وقال:

"And when did you disappear from your own time?"

(ومتى اختفيت من زمنك؟)

فكر علاء للحظة.

ثم قال:

"It was midnight."

(كانت الساعة الثانية عشرة ليلاً.)

وقف أينشتاين من مكانه فجأة.

وبدأ يسير في الغرفة.

قال بصوت منخفض:

"Interesting..."

(مثير للاهتمام...)

ثم توقف.

واستدار نحو علاء.

"When you left your time, it was midnight."

(عندما غادرت زمنك كانت الساعة الثانية عشرة ليلاً.)

وأشار إلى الورقة.

"When you arrived in Egypt's past, it was noon."

(وعندما وصلت إلى زمن عرابي كانت الثانية عشرة ظهراً.)

ثم أضاف:

"And when you arrived here... it was noon again."

(وعندما وصلت إلى هنا كانت الثانية عشرة ظهراً أيضاً.)

بدأ علاء يركز معه.

أما أينشتاين فتابع كلامه:

"This may not be random."

(قد لا يكون هذا عشوائياً.)

اقترب من المكتب.

ورسم عدة خطوط على الورقة.

ثم قال:

"What if the watch follows a cycle?"

(ماذا لو كانت الساعة تتبع دورة محددة؟)

عقد علاء حاجبيه.

فسأله:

"What do you mean?"

(ماذا تقصد؟)

أجاب أينشتاين:

"You spent three days with Ahmed Orabi."

(لقد قضيت ثلاثة أيام مع أحمد عرابي.)

أوماً علاء.

فأكمل:

"And tomorrow... you will have spent three days here."

(وغدًا ستكون قد قضيت ثلاثة أيام هنا.)

اتسعت عينا علاء قليلاً.

أما أينشتاين فواصل حديثه:

"The watch may allow a fixed period in each era."

(ربما تسمح الساعة بفترة زمنية ثابتة في كل عصر.)

سكت لحظة.

ثم أضاف:

"Three days."

(ثلاثة أيام.)

نظر علاء إلى الساعة في يده.

وقال:

"You think something will happen tomorrow?"

(تعتقد أن شيئاً سيحدث غداً؟)

أجاب أينشتاين دون تردد:

"Yes."

(نعم.)

"What exactly?"

(وماذا سيحدث بالضبط؟)

توقف أينشتاين لثوانٍ.

ثم قال:

"I don't know."

(لا أعلم.)

ونظر إلى الساعة.

"But I believe tomorrow at noon..."

(لكنني أعتقد أن غدًا عند الثانية عشرة ظهرًا...)

سكت لحظة.

ثم أكمل:

"You will either return to your own time..."

(إما أن تعود إلى زمنك...)

"...or be sent to another one."

(...أو تُرسل إلى زمن آخر.)

ساد الصمت داخل الغرفة.

نظر علاء إلى الساعة.

ثم إلى أينشتاين.

ثم عاد إلى الساعة مرة أخرى.

وقال محاولاً التخفيف من توتره:

"So you're telling me..."

(إذاً أنت تقول لي...)

ثم ابتسم ابتسامة خفيفة.

"I might wake up tomorrow in a completely different century?"

(قد أستيقتظ غدًا في قرن مختلف تمامًا؟)

نظر إليه أينشتاين بهدوء.

ثم قال:

"Considering what you've already
experienced..."

(بالنظر إلى ما مررت به بالفعل...)

ظهرت ابتسامة خفيفة على وجهه.

وهي من المرات النادرة التي يفعلها.

ثم قال:

"I would not rule it out."

(لن أستبعد ذلك.)

في تلك اللحظة...

نظر الاثنان إلى الساعة.

وكانها تسمع حديثهما.

ثم...

أطلقت عقاربها صوتًا خافتًا.

"تاك..."

صوت لم يسمعه علاء من قبل.

أما أينشتاين...

فتغيرت ملامحه فوراً.

وأدرك أن الغد...

قد يحمل الإجابة.

أو سؤالاً أكبر بكثير.
مرّت الليلة بهدوء.

لكن النوم لم يكن هادئاً بالنسبة لعلاء.

كان عقله منشغلاً بكل شيء.

أحمد عرابي.

أينشتاين.

الساعة.

والفتاة الغامضة التي ظهرت في أكثر من زمن.

وفي صباح اليوم التالي...

استيقظ علاء مبكرًا.

خرج من الغرفة بهدوء.

فوجد جالسًا في شرفة المنزل الصغيرة.

أمامه كوب من القهوة.

وبجانبه بعض الأوراق.

رفع أينشتاين نظره نحوه.

ثم قال:

"Good morning."

(صباح الخير.)

رد علاء:

"Morning."

(صباح النور.)

جلس إلى جواره.

لبضع دقائق لم يتحدث أي منهما.

كانا ينظران إلى الشارع الهادئ أسفل المنزل.

ثم قال أينشتاين:

"You seem troubled."

(يبدو أنك تحمل همًا كبيرًا.)

ابتسم علاء ابتسامة باهتة.

وقال:

"A little."

(قليلاً.)

نظر إليه أينشتاين.

واضح أنه ينتظر المزيد.

تنهد علاء.

ثم قال:

"You know... before all of this happened..."

(هل تعلم... قبل أن يحدث كل هذا...)

سكت للحظة.

"I wasn't really happy."

(لم أكن سعيدًا حقًا.)

ظل أينشتاين صامتًا.

فأكمل علماء:

"I had dreams."

(كانت لدي أحلام.)

"Simple dreams."

(أحلام بسيطة.)

"I wanted a good job."

(أردت وظيفة جيدة.)

"I wanted to get married."

(وأردت أن أتزوج.)

"I wanted a normal life."

(وأردت حياة عادية.)

أخفض رأسه قليلاً.

"But everything kept falling apart."

(لكن كل شيء كان ينهار.)

"I failed at many things."

(فشلت في أشياء كثيرة.)

"Jobs."

(وظائف.)

"Opportunities."

(فرص.)

"Even the woman I loved."

(حتى الفتاة التي أحببتها.)

ساد الصمت للحظات.

ثم قال علاء مبتسمًا بمرارة:

"To be honest..."

(بصراحة...)

"I wasn't good at achieving my dreams."

(لم أكن بارعًا في تحقيق أحلامي.)

نظر إلى الشارع.

وأضاف:

"Sometimes I felt like everyone was moving forward except me."

(أحيانًا كنت أشعر أن الجميع يتقدمون إلا أنا.)

ظل أينشتاين صامتًا لبعض الوقت.

ثم وضع كوب القهوة جانبًا.

وقال بهدوء:

"May I tell you a secret?"

(هل أخبرك بسر؟)

نظر إليه علاء باستغراب.

فأكمل أينشتاين:

"When I was young..."

(عندما كنت صغيراً...)

"Many people thought I was slow."

(ظن كثير من الناس أنني بطيء الفهم.)

اتسعت عينا علاء.

"Really?"

(حقاً؟)

أوما أينشتاين.

"I was not the student people imagine."

(لم أكن الطالب الذي يتخيله الناس.)

"And I often disagreed with my teachers."

(وكثيرًا ما اختلفت مع معلمي.)

ثم ابتسم ابتسامة خفيفة.

"There were times when finding work was difficult."

(وكانت هناك أوقات كان العثور على عمل فيها أمرًا صعبًا.)

نظر إلى الأفق.

وأضاف:

"Life rarely follows the path we plan."

(الحياة نادرًا ما تسير وفق الطريق الذي نخطط له.)

سكت قليلًا.

ثم التفت نحو علاء.

"And failure..."

(أما الفشل...)

"...is not the end of the story."

(...فليس نهاية القصة.)

نظر علاء إليه باهتمام.

فأكمل أينشتاين:

"It is simply a chapter."

(إنه مجرد فصل منها.)

"People think success belongs to those who never fail."

(يعتقد الناس أن النجاح يخص من لا يفشلون.)

هز رأسه.

"But that is not true."

(لكن هذا غير صحيح.)

"The people who succeed are often those who refused to stop after failure."

(الناجحون غالبًا هم الذين رفضوا التوقف بعد الفشل.)

ساد الصمت مرة أخرى.

كان علاء يستمع هذه المرة بكل تركيز.

ثم قال:

"Easy for you to say."

(من السهل أن تقول هذا.)

رفع أينشتاين حاجبه.

فأكمل علاء مبتسماً:

"You're Einstein."

(أنت أينشتاين.)

وللمرة النادرة...

ضحك أينشتاين ضحكة قصيرة.

ثم قال:

"Not yet."

(ليس بعد.)

سكت علاء لثانية.

ثم انفجر ضاحكًا.

وقال:

"Fair enough."

(معك حق.)

ابتسم أينشتاين.

ثم عاد ينظر إلى الشارع.

وقال بهدوء:

"Do not judge your life too early."

(لا تحكم على حياتك مبكرًا.)

"Some journeys take longer than others."

(بعض الرحلات تستغرق وقتًا أطول من غيرها.)

نظر علاء إلى الساعة الملتصقة بمعصمه.

ثم قال:

"Looks like mine is taking a very strange route."

(يبدو أن رحلتي تسلك طريقًا غريبًا جدًا.)

ابتسم أينشتاين.

وفي تلك اللحظة...

دقت ساعة بعيدة في المدينة.

مرة واحدة.

نظر الاثنان نحوها.

ثم إلى ساعة علاء.

ولم يكن أي منهما يعلم...

أن موعد الرحيل أصبح قريبًا أكثر من أي وقت مضى.
مرّ اليوم سريعًا.

أسرع مما توقع علاء.

حاول أن يستمتع بكل لحظة.

تحدث مع .

تجول معه قليلاً.

وتناقشا في أمور كثيرة.

العلم.

والحياة.

والمستقبل.

لكن مع مرور الساعات...

كان كلاهما ينظر إلى الساعة من حين لآخر.

دون أن يعلق.

كانا يعرفان أن شيئاً ما يقترب.

ومع اقتراب منتصف الليل...

جلسا داخل المنزل.

الصمت يملأ المكان.

نظر علاء إلى الساعة الملتصقة بمعصمه.

ثم قال:

"I think it's almost time."

(أعتقد أن الوقت قد اقترب.)

أوما أينشتاين ببطء.

ثم قال:

"Perhaps."

(ربما.)

سكت علاء للحظة.

ثم أخرج ورقة وقلمًا.

عقد أينشتاين حاجبيه.

وقال:

"What are you doing?"

(ماذا تفعل؟)

ابتسم علاء.

وقال:

"A gift."

(هدية.)

جلس على الطاولة.

وبدأ يرسم.

نظر إليه أينشتاين باستغراب.

بينما كان علاء يرسم ملامحه بعناية.

الشعر المنفوش.

الشارب.

والملامح التي سيعرفها العالم كله بعد سنوات طويلة.

وبعد عدة دقائق...

أنهى الرسم.

ثم دفع الورقة نحو أينشتاين.

وقال مبتسمًا:

"Look."

(انظر.)

أمسك أينشتاين الورقة.

ثم نظر إليها.

ولأول مرة...

بدأت عليه الدهشة الحقيقية.

كانت صورة كاريكاتيرية له.

لكن بشكل أكبر سنًا.

وشعر أكثر فوضى.

وملامح يعرفها ملايين البشر في المستقبل.

نظر إلى الرسم طويلاً.

ثم قال:

"This is me?"

(هل هذا أنا؟)

ابتسم علاء.

وقال:

"More or less."

(تقريبًا.)

رفع أينشتاين الورقة مرة أخرى.

وقال:

"I look older."

(أبدو أكبر سنًا.)

رد علاء:

"You will be."

(ستصبح كذلك.)

ثم أضاف ضاحكًا:

"And much more famous."

(وأكثر شهرة بكثير.)

هز أينشتاين رأسه مبتسمًا.

ثم احتفظ بالرسم بجواره.

وكأنه شيء ثمين.

ساد الصمت مجددًا.

نظر علاء إلى الساعة.

كانت العقارب تقترب من الثانية عشرة.

11:58

11:59

شعر علاء بالتوتر.

ونهمض من مكانه.

فنهض أينشتاين أيضًا.

نظر كل منهما إلى الآخر.

ثم قال علاء:

"Thank you."

(شكرًا لك.)

عقد أينشتاين حاجبيه.

فأكمل علاء:

"For everything."

(على كل شيء.)

ابتسم أينشتاين ابتسامة هادئة.

وقال:

"It was an interesting experience."

(لقد كانت تجربة مثيرة للاهتمام.)

ثم أضاف:

"I hope you find what you're looking for."

(أتمنى أن تجد ما تبحث عنه.)

ابتسم علاء.

وقال:

"I hope so too."

(أتمنى ذلك أيضًا.)

وفجأة...

بدأ الضوء الأزرق يخرج من الساعة.

نظر الاثنان إليها في اللحظة نفسها.

وعرفا أن الوقت قد حان.

ازدادت الإضاءة.

وأصبح الضوء يملأ الغرفة.

تراجع أينشتاين خطوة إلى الخلف.

بينما شعر علاء بنفس القوة التي سحبته من قبل.

قال بسرعة:

"Goodbye, Einstein."

(وداعًا يا أينشتاين.)

أجابه أينشتاين:

"Goodbye, Alaa."

(وداعاً يا علاء.)

ثم...

اختفى.

في لحظة واحدة.

اختفى علاء من أمامه تماماً.

وكأن وجوده لم يكن سوى حلم قصير.

ساد الصمت داخل المنزل.

ظل أينشتاين واقفًا في مكانه.

ينظر إلى الفراغ الذي كان يقف فيه علاء قبل ثوانٍ.

لم يتحرك.

ولم يتحدث.

ثم أنزل نظره ببطء.

فوجد الرسم ما زال فوق الطاولة.

أمسكه بين يديه.

ونظر إليه طويلاً.

ثم جلس وحده على المقعد.

وقال بصوت خافت:

"He's gone..."

(لقد رحل...)

نظر إلى الرسم مرة أخرى.

ثم ظهرت على وجهه ابتسامة حزينة.

وقال:

"Alone again."

(وحيثًا مرة أخرى.)

وفي الخارج...

كانت عقارب الساعة قد أعلنت بداية يوم جديد.

أما علاء...

فكان في طريقه إلى زمن جديد.

وشخصية جديدة.

وقصة أخرى لم يكن يتخيلها.

راقصي السامبا "

اختفى الضوء في لحظة...

وشعر علاء كأن جسده يُسحب بقوة هائلة.

ثم...

ارتطم بالأرض.

فتح عينيه ببطء، وهو يلتقط أنفاسه.

كانت الأشجار تحيط به من كل جانب.

أوراق كثيفة.

وأشعة الشمس تتسلل بصعوبة بين الأغصان.

ساد المكان هدوء غريب، لا يقطعه سوى صوت الرياح وحفيف الأوراق.

نهض بصعوبة، ونفض التراب عن ملابسه.

ثم نظر إلى الساعة الملتصقة بمعصمه.

ابتسم ساخرًا وقال:

"يعني مش هتفك... خلاص فهمت."

حاول أن ينزعها للمرة الأخيرة.

كالعادة...

لم تتحرك.

بدأ يسير بين الأشجار.

لا يعرف أين هو.

ولا يعرف حتى أي سنة يعيشها الآن.

كان كل ما يتمناه...

ألا يكون قد عاد إلى زمن أقدم من السابق.

تنهد وقال وهو يبتسم لنفسه:

"يا رب المرة دي أبقى في المستقبل."

ثم هز رأسه ضاحكًا.

"أو على الأقل أقابل ميسي بدل ما كل شوية أقابل شخصية
تاريخية."

وبعد دقائق من السير...

بدأت الأشجار تقل تدريجيًا.

حتى خرج إلى منطقة مفتوحة.

توقف مكانه.

أمامه حي صغير.

منازل متلاصقة.

أغلبها مبني بطريقة بسيطة.

طرق ضيقة غير ممهدة.

وأسلاك كهرباء تمتد بين الأسطح.

نظر حوله طويلاً.

ثم قال في نفسه:

"المكان ده... شكله مش قديم."

تنفس الصعداء قليلاً.

"الحمد لله... يمكن أكون قربت من الزمن بتاعي."

حاول أن يستنتج مكانه.

لم يجد لافتات.

ولا أسماء شوارع.

ولا أي شيء يدل على الدولة.

نظر إلى شكل البيوت مرة أخرى.

ثم قال في نفسه:

"ولا أكون وقعت في جنوب أفريقيا؟"

ابتسم بخفة.

"بصراحة... معنديش أي فكرة."

وفجأة...

وصل إلى سمعه صوت ارتطام كرة بالأرض.

ثم تعالت صيحات حماسية من بعيد.

التفت نحو مصدر الصوت.

ورأى مساحة ترايبية واسعة.

عدة شباب كانوا يلعبون كرة القدم.

مرميان من حجارة.

وكرة قديمة.

لكن الحماس...

كان أكبر من أي ملعب احترافي.

ابتسم علاء تلقائياً.

وقال:

"أهو... دي الحاجة الوحيدة اللي مبتتغيرش مهما اتغير الزمن."

ثم اتجه مباشرة نحوهم.

وعيناه معلقتان بالمباراة.

غير مدرك...

أن تلك المباراة ستكون بداية الفصل الجديد من رحلته.
اقترب علاء بخطوات هادئة.

كلما اقترب...

ازدادت أصوات المباراة وضوحًا.

"¡Vamos! ¡Vamos!"

(هيا! هيا!)

"¡Pásala!"

(مرر الكرة!)

"¡Rápido!"

(بسرعة!)

توقف علاء مكانه.

ابتسم في دهشة وقال في نفسه:

"إسباني؟"

عقد حاجبيه.

"طيب... دول كثير بيتكلموا إسباني."

سكت لحظة.

"يا ترى أنا في أنهي دولة؟"

ثم نظر إلى الساعة في يده.

وأضاف وهو يتنهد:

"والأهم... أنا في أنهي سنة؟"

أخذ يراقب المباراة.

كانت مختلفة عن أي مباراة شاهدها من قبل.

الشباب يلعبون حفاة الأقدام.

الكرة تبدو قديمة ومستهلكة.

لكن مهاراتهم...

كانت مذهلة.

مراوغات سريعة.

ولمسات دقيقة.

وكان الكرة جزء من أقدامهم.

ابتسم علاء دون أن يشعر.

وقال في نفسه:

"واضح إن الناس هنا بتتنفس كرة."

وفجأة...

انطلقت الكرة بقوة بعد تسديدة غير متقنة.

واتجهت مباشرة نحوه.

توقفت الكرة عند قدميه.

ساد الصمت للحظة.

ثم التفت جميع اللاعبين إليه.

قال أحدهم بالإسبانية:

"¿Quién eres?"

(من أنت؟)

وقال آخر وهو ينظر إلى ملابس علاء:

"¿Qué ropa es esa?"

(ما هذه الملابس التي ترتديها؟)

وأضاف ثالث وهو يضحك:

"Jamás había visto algo así."

(لم أرَ شيئاً كهذا من قبل.)

نظر علاء إليهم.

ثم ابتسم ابتسامة مرتبكة.

وقال بالإسبانية:

"Es una larga historia."

(إنها قصة طويلة.)

ساد الصمت.

هذه المرة بسبب المفاجأة.

نظر اللاعبون إلى بعضهم.

وكانهم لم يتوقعوا أن يفهم لغتهم.

قال أحدهم:

"Hablas español."

(أنت تتحدث الإسبانية.)

أوماً علاء برأسه.

وقال:

"Sí... un poco."

(نعم... قليلاً.)

ثم تمتم في نفسه بالعربية:

"الحمد لله إني اشتغلت كول سنتر."

أعاد نظره إلى وجوههم.

وقال في نفسه:

"لسه معرفتش أنا فين."

"إسبانيا؟"

"الأرجنتين؟"

"المكسيك؟"

"ولا دولة ثانية أصلاً؟"

وبينما كان شاردًا...

اقترب منه أحد الأولاد.

كان يبدو في مثل عمره تقريبًا.

بشرته سمراء.

وشعره مجعد.

ويرتدي ملابس بسيطة للغاية.

لكن ابتسامته...

كانت مليئة بالحياة.

وقف أمام علاء.

ثم قال بالإسبانية وهو يشير إلى الكرة:

"Juegas?"

(هل تلعب كرة القدم؟)

ابتسم علاء.

وقال:

"Sí."

(نعم.)

ثم أضاف ضاحكًا:

"Pero no como ustedes."

(لكن ليس بمستواكم.)

ضحك الشاب.

ثم انحنى وأخذ الكرة بين قدميه.

وبدأ يداعبها بخفة.

مرة...

مرتين...

ثم رفعها على كتفه.

ثم أعادها إلى قدمه دون أن تسقط على الأرض.

اتسعت عينا علاء.

وقال في نفسه:

"إيه المهارة دي!"

رفع الشاب رأسه.

ونظر إلى علاء مبتسمًا.

وفي تلك اللحظة...

تجمد علاء مكانه.

بدأ يحرق في وجهه.

ملاحه.

ابتسامته.

نظرته.

قال في نفسه بصوت يكاد لا يُسمع:

"لا..."

اقترب خطوة.

وهو لا يصدق ما تراه عيناه.

"مستحيل..."

كان قد رأى هذا الوجه آلاف المرات.

في الصور.

وفي مقاطع الفيديو.

وفي الأفلام الوثائقية.

همس علاء مذهولاً:

"بليه...؟"

اتسعت عينا الشاب باستغراب.

وقال بالإسبانية:

"¿Cómo conoces mi nombre?"

(كيف تعرف اسمي؟)

ابتلع علاء ريقه.

وشعر أن قلبه يكاد يقفز من صدره.

وقال في نفسه:

"أنا... قابلت أحمد عرابي..."

"وقابلت أينشتاين..."

ثم ابتسم في ذهول.

"ودلوقتي واقف قدام بليه... قبل ما يبقى أسطورة!"
نظر الشاب إلى علاء في دهشة.

ثم ابتسم وقال بالإسبانية:

"¿Vienes de Europa?"

(هل أنت قادم من أوروبا؟)

تردد علاء للحظة.

ثم قال:

"Why do you think that?"

(ولماذا تظن ذلك؟)

أشار الشاب إلى ملابسه.

ثم قال مبتسمًا:

"Por tu ropa... Nunca vi ropa así."

(بسبب ملابسك... لم أرَ ملابس كهذه من قبل.)

ابتسم علاء وقال:

"Tal vez."

(ربما.)

مد الشاب يده إليه.

وقال:

"Ven conmigo."

(تعال معي.)

سار علاء بجواره.

حتى وصلا إلى مساحة صغيرة بين البيوت.

كان عدد من الأولاد يجلسون على صناديق خشبية قديمة.

والبعض يصلح كرة ممزقة.

والآخرون يتحدثون ويضحكون.

جلس الشاب بجوارهم.

ثم أشار إلى علاء وقال:

"Lo encontré cerca del campo."

(وجدته بجوار الملعب.)

بدأ الجميع ينظر إلى علاء في فضول.

لكن أكثر ما لفت انتباهه...

هو المكان.

بيوت بسيطة.

ملابس قديمة.

وأطفال يضحكون رغم الفقر الواضح.

نظر علاء إلى الشاب وقال:

"Can I ask you something?"

(هل يمكنني أن أسألك شيئاً؟)

أوما الشاب.

"Do you play for a club?"

(هل تلعب في نادٍ؟)

ابتسم الشاب وهز رأسه.

وقال:

"No."

(لا.)

ثم أضاف:

"I only play here with my friends."

(ألعب هنا فقط مع أصدقائي.)

"One day... I hope someone notices me."

(أتمنى أن يلاحظني أحد يومًا.)

ابتسم علاء.

وفي داخله قال:

"يبقى لسه..."

رفع رأسه وسأله:

"How old are you?"

(كم يبلغ عمرك؟)

أجابه:

"Sixteen."

(ستة عشر عامًا.)

ازدادت دهشة علاء.

وقال في نفسه:

"يبقى قبل الاحتراف فعلاً."

ظل صامتاً للحظات.

ثم قال بهدوء:

"I know something about you."

(أنا أعرف شيئاً عنك.)

ابتسم الشاب وقال:

"Really?"

(حقاً؟)

أوماً علاء.

ثم قال:

"You were born in a poor family."

(وُلدت في عائلة فقيرة.)

نظر الشاب إليه مستغربًا.

ثم ضحك.

وقال:

"Look around."

(انظر حولك.)

وأشار إلى البيوت.

ثم قال:

"Everyone here is poor."

(كل من هنا فقير.)

ضحك أصدقائه.

أما علاء...

فابتسم هو الآخر.

ثم قال:

"I know more."

(أنا أعرف أكثر من ذلك.)

نظر الشاب إليه باهتمام.

قال علاء:

"When you were young..."

(عندما كنت صغيراً...)

"You helped your family."

(كنت تساعد أسرتك.)

"And you never stopped playing football."

(ولم تتوقف يوماً عن لعب كرة القدم.)

اختفت ابتسامة الشاب تدريجيًا.

وقال:

"Who told you that?"

(من أخبرك بهذا؟)

تنفس علاء بعمق.

ثم قال:

"No one."

(لا أحد.)

ساد الصمت.

ثم قال بهدوء شديد:

"You won't believe me..."

(لن تصدقني...)

"But I'm not from your time."

(لكنني لست من زمنك.)

عقد الشاب حاجبيه.

"¿Qué quieres decir?"

(ماذا تقصد؟)

نظر علاء في عينيه مباشرة.

وقال:

"I came from the future."

(لقد أتيت من المستقبل.)

ساد الصمت.

ثم انفجر أحد الأولاد ضاحكًا.

وقال بالإسبانية:

"¡Está loco!"

(إنه مجنون!)

وضج المكان بالضحكات.

أما الشاب...

فلم يضحك.

كان ينظر إلى علاء...

وكأنه يحاول أن يقرر.

هل أمامه رجل مجنون...

أم رجل يحمل سرًا لا يمكن تفسيره؟
نظر بليه إلى علاء لثوانٍ.

ورغم أنه لم يقتنع تمامًا بكلامه...

إلا أن فضوله كان أكبر من شكه.

ابتسم وقال بالإسبانية:

"Ven conmigo."

(تعال معي.)

سار الاثنان بين الأزقة الضيقة.

كانت البيوت متلاصقة.

والأطفال يركضون حفاة في الشوارع.

وبعض الرجال يجلسون أمام منازلهم بعد انتهاء يوم العمل.

نظر علاء حوله وهو يتمتم في نفسه:

"واضح إن الحياة هنا مش سهلة."

توقف بليه أمام منزل صغير.

كان مبنياً من الطوب البسيط والخشب.

فتح الباب ثم التفت إلى علاء.

وقال مبتسماً:

"Esta es mi casa."

(هذا هو منزلي.)

دخل علاء خلفه.

كان المنزل متواضعًا للغاية.

غرفة صغيرة تتصل بمطبخ بسيط.

وأثاث قديم، لكنه مرتب ونظيف.

وفي اللحظة التي دخل فيها...

خرجت والدته بلبه من المطبخ، وما إن رأت علاء حتى توقفت للحظة.

نظرت إلى ملابسه الحديثة في دهشة.

ثم قالت بالإسبانية:

"¿Quién es este muchacho? Nunca he visto ropa como esa."

(من هذا الشاب؟ لم أرَ ملابس كهذه من قبل.)

ابتسم بلبه وقال:

"Mamá, lo conocí hoy cerca del campo."

(أمي، تعرفت إليه اليوم بالقرب من الملعب.)

ثم أضاف:

"Dice que viene de muy lejos."

(ويقول إنه جاء من مكان بعيد جدًا.)

نظرت إليه الأم مرة أخرى، ثم ابتسمت في هدوء.

وقالت:

"Sea de donde sea... es bienvenido."

(مهما كان من أين جاء... فهو مرحب به.)

ابتسم علاء وقال بالإسبانية:

"Muchas gracias por su hospitalidad."

(شكرًا جزيلاً على كرم ضيافتك.)

وبعد دقائق...

فُتح باب المنزل مرة أخرى.

ودخل رجل تبدو على وجهه آثار الإرهاق.

كانت ملابسه متسخة قليلاً، وكأنه عاد لتوه من عمل شاق.

نظر إلى علاء باستغراب واضح.

ثم قال بالإسبانية:

"¿Quién es él?"

(من هذا؟)

أجابه بلييه:

"Es un amigo."

(إنه صديق.)

نظر الأب إلى ملابس علاء مرة أخرى.

ثم قال:

"No parece de هنا."

(لا يبدو أنه من هنا.)

ابتسم علاء ومد يده مصافحًا.

وقال:

"Mucho gusto."

(تشرفت بمعرفتك.)

صافحه الرجل في ترحاب.

ثم دعاه للجلوس.

بعد قليل...

وضعت والدته عليه الطعام على المائدة.

كان بسيطاً للغاية.

قليل من الأرز.

وبعض الفاصوليا.

وقطع صغيرة من الخبز.

جلس الجميع حول المائدة.

لاحظ علاء أن الطعام قليل مقارنة بعدد أفراد الأسرة.

لكن أحدًا لم يشتركِ.

بل كان الجميع يبتسمون وكأن المائدة مليئة بما لذ وطاب.

بدأوا في تناول الطعام.

وبعد بضع لقمات...

وضع والد بليه الملعقة جانبًا.

وقال مبتسمًا:

"Estoy lleno."

(لقد شبعت.)

نظر إليه علاء.

ثم إلى طبقه.

كان لا يزال يحتوي على معظم الطعام.

أخذت والدته بلبه الطبق بهدوء.

وقسمت ما تبقى فيه على أطباق الأطفال.

دون أن يقول أحد كلمة.

ظل علاء ينظر إلى المشهد في صمت.

وأدرك...

أن الرجل لم يكن شبعان.

بل أراد فقط أن يترك نصيبه لأولاده.

انخفضت عينا علاء إلى طبقه.

وشعر بغصة في حلقه.

فتذكر والده ووالدته في زمنه.

كم مرة ادعيا الشبع...

ليأكل هو.

ولم ينتبه لذلك إلا بعد سنوات.

قطع الأب الصمت وقال مبتسمًا:

"En esta casa... los niños siempre comen primero."

(في هذا البيت... الأطفال يأكلون أولاً.)

ابتسم علاء ابتسامة امتزجت بالحزن.

ثم قال بالإسبانية:

"Su familia es muy hermosa."

(عائلتكم جميلة جدًا.)

نظر إليه الأب.

ثم ابتسم في تواضع.

وقال:

"No somos ricos... pero nunca dejamos
أحدًا
"يجوع."

(لسنا أغنياء... لكننا لا نترك أحدًا يجوع.)

بعد انتهاء الطعام...

خرج علاء وبليه وجلسا أمام المنزل.

كانت السماء صافية.

والليل هادئًا.

نظر بليه إلى علاء وقال بالإسبانية:

"De verdad vienes del futuro?"

(هل حقًا أتيت من المستقبل؟)

تنهد علاء.

ثم نظر إلى الساعة الملتصقة بمعصمه.

وقال:

"لو حكيت لك الحقيقة... غالبًا هتفتكرني مجنون."

ابتسم بليه وقال:

"Entonces cuéntamela."

(إذاً احكها لي.)

فنظر علاء إلى السماء...

وأخذ نفساً عميقاً...

ثم بدأ يحكي قصته من البداية.
حلّ الليل على الحي الصغير.

وخفتت أصوات الأطفال تدريجياً.

وأغلقت المنازل أبوابها.

لم يكن هناك ضوء سوى مصباح صغير يتسلل من نافذة هنا...

وآخر هناك.

استلقى علاء على الفراش البسيط الذي أعدته له أسرة بليه.

ظل ينظر إلى سقف الغرفة.

ثم ابتسم في هدوء.

وقال في نفسه:

"أمس كنت مع أحمد عرابي..."

"وبعده مع أينشتاين..."

"والنهارده بنام في بيت بليه."

تنهد وهو يهز رأسه.

"أنا لو حكيت اللي بيحصل لي لحد... هيقول عليا مجنون."

لم تمض دقائق كثيرة...

حتى غلبه النعاس.

وأغلق عينيه.

ومع إشراقة الصباح...

استيقظ على صوت طرقات خفيفة على الباب.

ثم دخل بليه وهو يبتسم بحماس.

وقال بالإسبانية:

"¡Vamos, despierta! ¡El partido está por empezar!"

(هيا، استيقظ! المباراة على وشك أن تبدأ!)

فتح علاء عينيه وهو يتثائب.

ثم قال ضاحكًا بالعربية:

"واضح إن النوم رفاهية مش مكتوبة ليا."

نهض سريعًا.

وغسل وجهه.

ثم خرج مع بليه.

كان الحي قد بدأ يستيقظ.

الأطفال يركضون.

والرجال يتجهون إلى أعمالهم.

والنساء يقفن أمام المنازل يتبادلن الحديث.

وكلما مر علاء...

التفت إليه الناس في استغراب.

كانوا ينظرون إلى ملابسه الحديثة.

ثم يتهامسون فيما بينهم.

ابتسم علاء في حرج.

وقال لبليه بالإسبانية:

"Creo que todos me están mirando."

(أعتقد أن الجميع ينظر إليّ.)

ضحك بليه وقال:

"Es por tu ropa. Nunca han visto algo así."

(بسبب ملابسك، لم يروا مثلاً من قبل.)

بعد دقائق...

وصلا إلى الساحة الترابية.

وكان الشباب قد بدأوا المباراة بالفعل.

ما إن رأوا بليه...

حتى صاح أحدهم بالإسبانية:

"¡Pelé! ¡Ven rápido!"

(بليه! تعال بسرعة!)

ثم وقع نظرهم على علاء.

فتوقف بعضهم عن اللعب للحظة.

وأخذوا ينظرون إليه في فضول.

لكن بليه اكتفى بالإشارة إليه.

وقال:

"Hoy juega con nosotros."

(اليوم سيلعب معنا.)

ابتسم أحد اللاعبين.

ثم ركل الكرة باتجاه علاء.

أوقفها علاء بقدمه...

فتفاجأ.

نظر إلى الكرة باستغراب.

ثم تتم بالعربية:

"دي ثقيلة!"

رفعها بيده قليلاً.

وأضاف وهو يبتسم:

"واضح إن كور زمان غير اللي بنلعب بيها."

بدأت المباراة.

وفي أول هجمة...

استلم أحد اللاعبين الكرة.

ثم مررها بكعب قدمه دون أن ينظر.

واستلمها لاعب آخر بصدرة.

ثم رفعها فوق رأس أحد المدافعين.

قبل أن يعيدها بكعبه مرة أخرى.

توقف علاء يراقب في دهشة.

ثم جاء دور بليه.

استلم الكرة.

وبلمستين فقط...

تجاوز أول لاعب.

ثم الثاني.

ثم مرر الكرة من بين قدمي الثالث.

وعاد ليتجاوز الرابع.

كل ذلك...

وكأنه يرقص معها.

اتسعت عينا علاء.

وقال وهو يضحك من شدة اندهائه:

"يا نهار أبيض..."

ثم هز رأسه وأضاف:

"ده إحنا معندناش كورة أصلاً على كده!"

لم يفهم أحد ما قاله.

لكن ضحكته كانت كافية.

ابتسم بليه.

وأشار إليه بيده.

ثم قال بالإسبانية:

"¡Ven! Muéstranos cómo juegan en tu país."

(تعال! أرنا كيف تلعبون في بلدك.)

ابتسم علاء.

ونظر إلى الكرة.

وقال في نفسه:

"شكلها هتبقى فضيحة..."
انتهت المباراة بعد ساعات من اللعب.

كان العرق يغطي وجوه الجميع.

لكن الابتسامة لم تفارقهم.

جلس بعض الشباب على الأرض يلتقطون أنفاسهم.

بينما حمل آخرون الكرة استعدادًا للعودة إلى منازلهم.

كان علاء يلهث من شدة التعب.

نظر إلى بليه وهو يضحك وقال بالعربية:

"أنا أول مرة أتعب من ماتش بالشكل ده."

ابتسم بليه، رغم أنه لم يفهم ما قاله.

ثم أشار إليه أن يتبعه.

سار الاثنان مبتعدين عن الحي.

حتى وصلا إلى منطقة تكثر فيها الأشجار.

كانت أشجار المانجو تملأ المكان.

أمسك بليه بعصا خشبية صغيرة.

وضرب بها أحد الأغصان.

فسقطت عدة ثمرات مانجو على الأرض.

التقط إحداها، ومسحها بطرف قميصه، ثم ناولها لعلاء.

وقال بالإسبانية:

"Come, está muy dulce."

(كُل، إنها حلوة جدًا.)

أخذها علاء.

وتذوقها.

ثم ابتسم وقال بالعربية:

"دي أحلى مانجو كلتها في حياتي."

ضحك بليه لأنه لم يفهم.

لكن تعبيرات وجه علاء كانت كافية.

جلس الاثنان تحت شجرة كبيرة.

وكان المكان هادئًا، لا يُسمع فيه سوى صوت الطيور وحركة
الهواء بين الأغصان.

ظل بليه صامتًا للحظات.

ثم قال بالإسبانية:

"¿Sabes? A veces siento que este lugar nunca cambiará."

(أتعلم؟ أحيانًا أشعر أن هذا المكان لن يتغير أبدًا.)

نظر إليه علاء باهتمام.

أكمل بليه:

"La gente aquí trabaja desde el amanecer hasta la noche."

(الناس هنا يعملون من الفجر حتى الليل.)

"Y al final del día... siguen siendo pobres."

(وفي نهاية اليوم... يظلون فقراء.)

أخفض رأسه قليلاً.

ثم قال:

"Muchos dejan de soñar."

(كثيرون يتوقفون عن الحلم.)

وسكت لحظة.

ثم أضاف:

"Y los que siguen soñando..."

(أما الذين يستمرون في الحلم...)

ابتسم ابتسامة حزينة.

ثم قال:

"Solo siguen soñando."

(فهم يظلون يحلمون فقط.)

ظل علاء يستمع إليه دون أن يقاطعه.

أكمل بليه:

"Aquí la pobreza no solo quita el dinero..."

(هنا، الفقر لا يسلب المال فقط...)

"También quita la esperanza."

(بل يسلب الأمل أيضاً.)

ثم نظر إلى البيوت البعيدة وقال:

"Los ricos toman las decisiones..."

(الأغنياء هم من يتخذون القرارات...)

"Y los pobres viven con las consecuencias."

(أما الفقراء فيعيشون نتائج تلك القرارات.)

تنهد بعمق.

ثم قال:

"A veces siento que, por más que lo intentemos..."

(أحيانًا أشعر أنه مهما حاولنا...)

"Nada cambiará."

(فلن يتغير شيء.)

ساد الصمت بينهما للحظات.

ثم رفع علاء رأسه وقال بالإسبانية:

"Conocí a un hombre hace unos días."

(تعرفت إلى رجل منذ أيام.)

"Me dijo que el fracaso no es el final de la historia."

(قال لي إن الفشل ليس نهاية القصة.)

نظر إليه بليه باهتمام.

فأكمل علاء:

"Creo que los sueños son iguales."

(وأعتقد أن الأحلام تشبه ذلك.)

"Que el camino sea difícil..."

(كون الطريق صعباً...)

"...no significa que sea imposible."

(...لا يعني أنه مستحيل.)

نظر بليه إلى السماء.

ثم ابتسم ابتسامة صغيرة.

وقال بالإسبانية:

"Ojalá tengas razón."

(أتمنى أن تكون على حق.)

ابتسم علاء.

ولم يقل شيئاً.

لكن في داخله...

كان يعلم أنه يجلس أمام فتى سيغيّر تاريخ كرة القدم يوماً ما، بينما هذا الفتى لا يملك الآن سوى حلم... وكرة قديمة... وحافي القدمين.

مع اقتراب غروب الشمس...
نهض بليه من تحت شجرة المانجو.
ونفض التراب عن ملابسه.
ثم نظر إلى علاء وقال بالإسبانية:

"Volvamos a casa. Mi madre debe de estar preocupada por nosotros."

(لنعد إلى المنزل. لا بد أن أمي قلقة علينا.)

أوماً علاء.
وسار الاثنان في طريق العودة.
كانت أشعة الشمس الأخيرة تلون السماء بالبرتقالي.
والهواء أصبح أكثر برودة.

وعندما اقتربا من الحي...
لفت انتباه علاء مشهد صغير.
توقف بليه فجأة.
ثم أخرج ثمرة مانجو من الكيس الذي كان يحمله.
واتجه نحو طفل صغير كان يجلس أمام أحد البيوت.
بدا على الطفل التعب والجوع.
ابتسم بليه وأعطاه ثمرة المانجو.
أضاءت الفرحة وجه الطفل.
وقال بالإسبانية:

"¡Gracias, Pelé!"

(شكرًا يا بليه!)
ابتسم بليه وربت على رأسه.
ثم أكمل طريقه.

نظر إليه علاء باستغراب.
ثم سألته بالإسبانية:

"¿Es tu hermano?"

(هل هو أخوك؟)

ابتسم بليه وهز رأسه.
وقال:

"No."

(لا.)

ثم أضاف:

"Pero sé que hoy no ha comido nada."

(لكنني أعلم أنه لم يأكل شيئاً اليوم.)

نظر إليه علاء بصمت.
ولم يجد ما يقوله.

وصلا إلى المنزل.
فوجدا والد بليه يجلس أمام الباب.
كان يصلح حذاءً قديماً بإبرة وخيط.
رفع رأسه عندما رآهما.
ثم ابتسم وقال بالإسبانية:

"Pensé que regresarían mucho más tarde."

(ظننت أنكما ستعودان في وقت متأخر.)

ابتسم بليه وقال:

**"Nos quedamos hablando un poco
después del partido."**

(بقينا نتحدث قليلاً بعد المباراة.)

دخل الثلاثة إلى المنزل.
وبعد دقائق...
وضعت والدة بليه العشاء على المائدة.

كان الطعام بسيطاً.
قليل من الحساء.
وبعض الخبز.
ولم يتغير الحال كثيراً عن الليلة الماضية.

جلس الجميع حول المائدة.
وبدؤوا في تناول الطعام.

لاحظ علاء أن كمية الطعام قليلة.
وأثناء الأكل...
قطع والد بليه قطعة الخبز الأخيرة.
وقسمها بين الأطفال.
ثم أبعد طبقه عنه.

نظر إليه علاء وقال بالإسبانية:
"¿Y usted? No va a comer?"
(وأنت؟ ألا ستأكل؟)

ابتسم الرجل في هدوء.
وقال:
"No te preocupes. Comí antes de volver a casa."

(لا تقلق. لقد أكلت قبل أن أعود إلى المنزل.)

نظر علاء إلى والدته بليه.
فوجدها تخفض عينيها في صمت.

وكانها تعرف الحقيقة.

فهم علاء أن الرجل لم يأكل شيئاً.
وأنه أراد فقط أن يترك نصيبه لأطفاله.

ساد الصمت للحظات.
ثم قال والد بليه مبتسماً بالإسبانية:

**"Cuando uno es padre... aprende que ver a
sus hijos comer es suficiente."**

(عندما يصبح الإنسان أباً... يتعلم أن رؤية أطفاله وهم يأكلون
تكفيه.)

شعر علاء بغصة في حلقه.
وتذكر والده.
كم مرة قال إنه شبع...
فقط ليترك الطعام لابنه.
ولم يفهم ذلك إلا بعد أن كبر.

بعد العشاء...
خرج علاء إلى خارج المنزل.
وجلس على العتبة الخشبية.
رفع رأسه نحو السماء المليئة بالنجوم.
ثم همس لنفسه:
"الغريب...
إن أفقر الناس اللي قابلتهم في الرحلة دي...
هم أكثر ناس حسسوني بمعنى الغنى."
مرّت الليلة بهدوء.

ولأول مرة منذ بدأت رحلة علاء عبر الزمن...

نام نومًا عميقًا.

ومع شروق الشمس...

فتح عينيه على صوت بليه وهو يربت على كتفه برفق.

وقال بالإسبانية:

"¡Buenos días, Alaa! Despierta, tenemos que ir."

(صباح الخير يا علاء! استيقظ، يجب أن نذهب.)

فتح علاء عينيه وهو يتثاءب.

ثم ابتسم وقال بالإسبانية:

"¿Vamos a jugar al fútbol otra vez?"

(هل سنذهب للعب كرة القدم مرة أخرى؟)

ضحك بليه وهز رأسه.

ثم قال:

"No... hoy no jugamos."

(لا... لن نلعب اليوم.)

ثم أكمل:

"Hoy es un día de trabajo."

(اليوم يوم عمل.)

اختفت ابتسامة علاء قليلاً.

ثم سأله بالإسبانية:

"Tú también trabajas?"

(هل تعمل أنت أيضاً؟)

أوماً بلييه برأسه.

وقال:

"Sí. Si no trabajo, mi familia no tendrá qué comer."

(نعم. إذا لم أعمل، فلن تجد عائلتي ما تأكله.)

ساد الصمت للحظة.

ثم خرج الاثنان من المنزل.

كانت شوارع الحي قد امتلأت بالحركة.

الرجال يتجهون إلى أعمالهم.

والنساء ينظفن أمام البيوت.

والأطفال يساعدون آباءهم.

وبينما كانا يسيران...

نظر علاء إلى بلييه وقال بالإسبانية:

"Hay algo que todavía no entiendo."

(هناك شيء ما زلت لا أفهمه.)

نظر إليه بليه وقال:

"¿Qué pasa?"

(ما الأمر؟)

قال علاء:

"Me conociste ayer..."

(لقد تعرفت عليَّ بالأمس...)

"No sabes quién soy..."

(وأنت لا تعرف من أكون...)

"Ni de dónde vengo..."

(ولا من أين أتيت...)

"Y aun así me dejaste dormir en tu casa."

(ومع ذلك سمحت لي بالمبيت في منزلك.)

ثم ابتسم ابتسامة خفيفة وسأله:

"¿No tuviste miedo?"

(ألم تخف؟)

ابتسم بليته في هدوء.

ثم قال:

"Aquí todos sufrimos."

(هنا... كلنا نعاني.)

"Todos necesitamos que alguien nos ayude algún día."

(وكلنا نحتاج يومًا إلى من يساعدنا.)

ثم نظر إلى علاء وأضاف:

"Si hoy te ayudo yo..."

(إذا ساعدتك أنا اليوم...)

"Quizás mañana alguien ayude a mi familia."

(فربما يساعد أحدٌ عائلتي غدًا.)

ساد الصمت بينهما.

خفض علاء رأسه.

وقال في نفسه:

"واضح إن الفقر بيعلم الإنسان الرحمة قبل أي حاجة."

بعد دقائق...

توقف بليه أمام منزل كبير.

كان مختلفًا تمامًا عن منازل الحي.

حديقة واسعة.

وسور مرتفع.

وباب خشبي ضخمة.

نظر علاء إلى المكان باستغراب.

ثم قال بالإسبانية:

"¿Trabajas aquí?"

(هل تعمل هنا؟)

أجاب بليه:

"Sí."

(نعم.)

ثم دخل من الباب الجانبي.

ودخل علاء خلفه.

وبعد خطوات قليلة...

وصلت إلى أنف علاء رائحة نفاذة للغاية.

فتوقف مكانه تلقائياً.

وعقد حاجبيه.

أما بليه...

فأمسك بدلو ماء.

وفرشاة.

وبدأ في تنظيف أحد المراحيض.

نظر إليه علاء في صدمة.

وقال بالإسبانية:

"Este es... tu trabajo?"

(هل هذا ... هو عملك؟)

رفع بليه رأسه.

ثم ابتسم ابتسامة بسيطة.

وقال:

"Sí."

(نعم.)

"Hoy estoy reemplazando a mi padre."

(اليوم أعمل بدلاً من والدي.)

"Él fue a trabajar a otra casa."

(لقد ذهب للعمل في منزل آخر.)

نظر علاء إليه.

ثم إلى الفرشاة في يده.

وشعر بشيء يعصر قلبه.

اقترب خطوة.

لكن الرائحة كانت قوية جدًا.

فوضع يده على أنفه دون أن ينتبه.

لاحظ بليه ذلك.

فابتسم وقال بهدوء:

"No te preocupes."

(لا تقلق.)

"La primera vez... yo también hice lo mismo."

(في أول مرة... فعلت الشيء نفسه.)

"Después de un tiempo, te acostumbras."

(وبعد فترة... تعتاد الأمر.)

شعر علاء بالخجل.

فأنزل يده فوراً.

ثم اقترب من بلييه.

وأخذ الدلو من جواره.

وقال بالإسبانية:

"Déjame ayudarte."

(دعني أساعدك.)

هز بلييه رأسه بسرعة.

وقال:

"No hace falta."

(لا داعي.)

لكن علاء ابتسم.

وأمسك بالفرشاة.

ثم قال:

"Los amigos trabajan juntos."

(الأصدقاء يعملون معًا.)

نظر إليه بليه لثوانٍ...

ثم ابتسم ابتسامة صادقة.

وقال:

"Gracias... amigo."

(شكرًا لك... يا صديقي.)

وفي تلك اللحظة...

أدرك علاء...

أن قيمة الإنسان لا تُقاس بنوع العمل الذي يؤديه...

بل بالشرف الذي يؤديه به.
انتهى يوم العمل أخيرًا.

غسل بليه يديه من آثار المنظفات.

ثم خرج مع علاء من المنزل الكبير.

كان التعب واضحًا على وجهه.

لكن الغريب...

أنه كان يبتسم.

نظر علاء إليه وقال بالإسبانية:

"No estás cansado?"

(ألا تشعر بالتعب؟)

ابتسم إليه وقال:

"Sí... pero hay un lugar que hace que olvide todo."

(بلى... لكن هناك مكان يجعلني أنسى كل شيء.)

نظر إليه علاء باستغراب.

فسأله:

"¿Qué lugar?"

(أي مكان؟)

ابتسم بليه وقال بحماس ظهر لأول مرة في عينيه:

"Ven conmigo... quiero mostrarte el lugar
donde sueño estar algún día."

(تعال معي... أريد أن أريك المكان الذي أحلم أن أكون جزءًا منه
يومًا ما.)

سار الاثنان مسافة طويلة.

خرجا من الحي الفقير.

وكلما اقتربا...

بدأت المباني تبدو أكثر تنظيماً.

حتى ظهر أمامهما ملعب كبير تحيط به الأسوار.

توقف بليه.

وأشار إليه بفخر.

وقال بالإسبانية:

"Este... es el Santos Futebol Clube."

(هذا... هو نادي سانتوس.)

توقفت قدما علاء.

وشعر بقشعريرة تسري في جسده.

نظر إلى شعار النادي.

ثم همس بالعربية:

"سانتوس..."

وقال في نفسه:

"يعني أنا واقف قدام النادي اللي هيكتب فيه بليه التاريخ..."

اقترب بليه من سور الملعب.

ثم وقف ينظر من بين القضبان الحديدية.

وأشار إلى أرضية الملعب.

وقال بالإسبانية:

"Cada vez que tengo tiempo... vengo aquí."

(كلما سنحت لي الفرصة... آتي إلى هنا.)

"Me gusta ver cómo entrenan."

(أحب أن أشاهدهم وهم يتدربون.)

"Algún día... yo también jugaré aquí."

(وفي يوم من الأيام... سألعب هنا أنا أيضًا.)

نظر علاء إلى بلييه.

ثم إلى الملعب.

ورأى لاعبي سانتوس يتدربون.

كانت التمريرات سريعة.

والتسديدات قوية.

والمدرّب يصرخ بالتعليمات.

أما بليه...

فكان يتابع كل حركة بعينين مليئتين بالحلم.

قال علاء بالإسبانية:

"¿Vienes aquí todos los días?"

(هل تأتي إلى هنا كل يوم؟)

ابتسم بليه.

وقال:

"Siempre que puedo."

(كلما استطعت.)

"Observo..."

(أراقب...)

"Aprendo..."

(وأتعلم...)

"Y luego vuelvo al barrio para practicar lo que vi."

(ثم أعود إلى الحي لأطبق ما شاهدته).

ابتسم علاء في إعجاب.

ثم قال:

"Eso significa que entrenas incluso cuando nadie te entrena."

(هذا يعني أنك تتدرب حتى عندما لا يدربك أحد).

أوماً بليه.

ثم قال بابتسامة واثقة:

"Los sueños también necesitan entrenamiento."

(الأحلام أيضاً تحتاج إلى تدريب).

ظل علاء صامتًا للحظة.

ثم نظر إلى الملعب مرة أخرى.

وقال في نفسه:

"يمكن... الفرق بين الإنسان العادي والأسطورة..."

"إن الأسطورة ببداً يحلم..."

قبل ما أي حد يعرف اسمه."

وبينما كانا واقفين خلف السور...

كانت عينا بليه معلقتين بالملعب.

وكأنه لا يرى اللاعبين...

بل يرى نفسه بينهم في المستقبل.
عاد علاء وبليه من أمام ملعب سانتوس مع غروب الشمس.

كان الطريق هادئاً.

لكن قلب علاء لم يكن كذلك.

كان ينظر إلى السماء بين الحين والآخر...

ثم إلى الساعة الملتصقة بمعصمه.

لقد حفظ نظامها جيداً.

اليوم...

هو اليوم الثالث.

وهذه الليلة...

ستكون الأخيرة.

وصلا إلى المنزل.

فاستقبلتهما والدته بلباسه بابتسامة دافئة.

وقالت بالإسبانية:

"La cena está lista."

(العشاء جاهز.)

اجتمعت الأسرة حول المائدة.

وكعادتها...

كانت بسيطة.

لكنها امتلأت بالدفع.

ظل علاء ينظر إلى أفراد الأسرة واحدًا تلو الآخر.

شعر وكأنه يعرفهم منذ سنوات.

وليس منذ ثلاثة أيام فقط.

وبعد انتهاء العشاء...

وقف علاء.

ونظر إلى الجميع.

ثم قال بالإسبانية:

"Quiero darles las gracias."

(أريد أن أشكركم.)

نظر الجميع إليه في صمت.

فأكمل:

"Nunca olvidaré la bondad que vi en esta casa."

(لن أنسى أبدًا طيبة هذا البيت.)

ابتسم والد بليه وقال:

"Esta siempre será tu casa."

(سيظل هذا بيتك دائمًا.)

ابتسم علاء في امتنان.

ثم قال بهدوء:

"Mañana... ya no estaré aquí."

(غداً... لن أكون هنا.)

ساد الصمت.

نظرت والدة بلييه إليه في دهشة.

أما بلييه...

فاكتفى بالنظر إليه دون أن يتحدث.

خرج الاثنان إلى سطح المنزل.

كانت السماء مليئة بالنجوم.

ونسيم الليل يمر بهدوء بين البيوت.

جلسا متجاورين.

ولم يتحدث أيُّ منهما لعدة دقائق.

قطع بليه الصمت أخيرًا.

وقال بالإسبانية:

"De verdad te vas?"

(هل سترحل حقًا؟)

تنهد علاء.

ثم رفع الساعة أمامه.

وقال:

"Sí."

(نعم.)

"No sé si volveré a mi tiempo..."

(لا أعلم إن كنت سأعود إلى زمني...)

"...o si esta extraña reloj me llevará a otra época."

(...أو إن كانت هذه الساعة الغريبة ستأخذني إلى زمن آخر.)

نظر بليه إلى الساعة طويلاً.

ثم قال:

"Todavía me cuesta creer todo esto."

(ما زلت أجد صعوبة في تصديق كل هذا.)

ابتسم علاء.

ثم قال:

"Yo también."

(وأنا أيضًا.)

ساد الصمت مرة أخرى.

ثم التفت علاء إلى بليه.

وقال بالإسبانية:

"Quiero pedirte una sola cosa."

(أريد أن أطلب منك شيئاً واحداً.)

نظر إليه بليه باهتمام.

قال علاء:

"Nunca dejes de soñar."

(لا تتوقف أبداً عن الحلم.)

"Y nunca dejes de jugar al fútbol."

(ولا تتوقف أبداً عن لعب كرة القدم.)

"Habrá días sentirás que nadie cree en...ك"

(ستأتي أيام تشعر فيها أن لا أحد يؤمن بك...)

"Pero sigue entrenando..."

(لكن استمر في التدريب...)

"Porque un sueño no muere mientras صاحبه
"يتمسك به."

(فالحلم لا يموت ما دام صاحبه متمسكًا به.)

نظر بليه إليه طويلاً.

ثم ابتسم ابتسامة واثقة.

وقال:

"Te lo prometo."

(أعدك بذلك.)

ابتسم علاء.

ونظر إلى الساعة.

كانت عقاربها تقترب من الثانية عشرة ليلاً.

وقبل أن ينطق بكلمة...

وقع بصره على شيء في الشارع أسفل المنزل.

تجمد مكانه.

كانت هناك فتاة...

تقف وحدها تحت ضوء مصباح قديم.

ملاحها هي نفسها.

الوجه نفسه.

والنظرة نفسها.

الفتاة التي رآها في زمن أحمد عرابي...

ثم رآها مرة أخرى في زمن أينشتاين.

ها هي الآن...

تقف أمامه من جديد.

وقف علاء فجأة.

وقال في دهشة:

"هي...!"

نظر بليه إليه باستغراب.

وسأله بالإسبانية:

"¿Qué pasa?"

(ماذا هناك؟)

لكن علاء لم يجبه.

بل اندفع نحو باب السطح.

ونزل الدرج مسرعًا.

حتى خرج إلى الشارع.

نظر يمينًا...

ثم يسارًا...

ورأى الفتاة تبتعد بخطوات هادئة.

فأخذ يجري خلفها.

وهو ينادي:

"استني!"

وقبل أن يصل إليها...

رفعت الساعة الملتصقة بمعصمه ضوءًا أبيض ساطعًا.

توقفت الفتاة.

وكأنها شعرت بشيء.

وبدأت تستدير نحوه ببطء...

لكن...

دقّت الساعة الثانية عشرة.

وفي لحظة واحدة...

اختفى علاء من الشارع.

واختفى الضوء معه.

توقفت الفتاة في مكانها.

ونظرت إلى الفراغ الذي كان يقف فيه منذ لحظة.

ثم أكملت سيرها...

وكانها اعتادت هذا المشهد.

أما بليه...

فوقف أعلى سطح المنزل.

ينظر إلى الشارع في ذهول.

كانت عيناه تبحثان عن صديقه.

لكن المكان...

كان خاليًا تمامًا.

همس بصوت خافت:

"Buen viaje... amigo."

(رحلة سعيدة... يا صديقي.)

مصر القديمة "

ساد الظلام...
ثم عاد ذلك الضوء الأبيض الذي اعتاد علاء رؤيته مع كل انتقال.
شعر وكأن الأرض اختفت من تحت قدميه.
وللحظة...
لم يعد يسمع شيئاً.

فتح عينيه ببطء.
وجد نفسه يقف في شارع واسع مرصوف بالحجارة.
المكان مختلف تمامًا.
بيوت كبيرة ذات أعمدة مرتفعة.
وعربات تجرها الخيول تمر أمامه.
وتجار ينادون على بضائعهم.
ورجال يرتدون أثواباً طويلة، بينما يحمل الجنود رماحاً ودروعاً
لامعة.
أما الهواء...
فكان يحمل رائحة البحر ممزوجة بالبخور.

رفع علاء رأسه.
فرأى من بعيد منارة شاهقة تعلو فوق المدينة.
وقال في نفسه:
"هو أنا... فين المرة دي؟"
نظر حوله وهو يحاول استيعاب المكان.
لكن قبل أن يخطو خطوة واحدة...
شعر بيدين تمسكانه بقوة من الخلف.

وقبل أن يلتفت...

وُضع غطاء على عينيه.

قال علاء وهو يحاول الإفلات:
"إيه ده؟! أنتم مين؟!!"
لكن لم يرد عليه أحد.
كل ما كان يسمعه...
وقع خطوات سريعة.
وصوت أبواب تُفتح وتُغلق.

وبعد لحظات...
توقفت الخطوات.
وسُحب الغطاء عن عينيه.

رمش عدة مرات...
ثم رفع رأسه.
فتجمد مكانه.
كان يقف داخل قصر فخم.
أعمدة ضخمة.
أرضية من الرخام.
وستائر فاخرة تتدلى من السقف.
وعلى جانبي القاعة وقف عشرات الحراس بملابس مصرية قديمة،
يحملون الرماح في صمت تام.

وفي نهاية القاعة...
جلست امرأة على عرش مرتفع.
ترتدي ثوبًا ملكيًا أبيض تتخلله خيوط ذهبية.
وتضع تاجًا أنيقًا فوق رأسها.

كانت ملامحها هادئة...
لكن نظرتها تحمل هيبه الملوك.

وقفت من مكانها.
ثم اقتربت من علاء بخطوات ثابتة.
تأملته للحظات.
ثم ابتسمت ابتسامة خفيفة وقالت:
"أهلاً بك..."
كنت أنتظر ك.
اتسعت عينا علاء في دهشة.
ولم ينطق بكلمة.

ثم نظرت إلى الساعة الملتصقة بمعصمه وقالت:
"أظن..."

أن معك شيئاً يخصني."
نظر علاء بسرعة إلى الساعة.
ثم عاد ينظر إليها باستغراب.
وقال:

"حضرتك... تعرفي الساعة دي؟"
لكنها لم تجبه.
بل التفتت إلى الحراس وقالت بهدوء:
"اتركونا."

انحنى الجميع في احترام.
ثم خرجوا من القاعة.
وأغلقت الأبواب الضخمة.
ولم يبقَ في المكان...
إلا علاء...
وتلك المرأة الغامضة.

اقتربت منه خطوة أخرى.

ثم قالت بصوت هادئ:

"يمكنك أن تتاديني..."

كليوباترا!"

تجمد علاء في مكانه.

واتسعت عيناه في صدمة.

وقال وهو ينظر إليها:

"كليوباترا...!"

لم يصدق ما يراه.

ظل يحدق فيها لعدة ثوانٍ.

ثم قال بصوت متردد:

"يعني... إنكِ فعلاً كليوباترا؟"

ابتسمت ابتسامة هادئة.

ثم قالت:

"يبدو أنك تعرفني."

ابتلع علاء ريقه.

ثم ضحك في توتر.

وقال:

"يعني... أيوه، أعرفك."

اقتربت منه خطوة.

ثم أشارت إلى الساعة الملتصقة بمعصمه.

وقالت:

"لكن يبدو أنك لا تعرف ما تحمله."

نظر علاء إلى الساعة.
ثم قال:
"أنا كل اللي أعرفه إنها بتنقلني من زمن لزمان... ومش عارف ليه."

تنهدت كليوباترا.
ثم جلست على أحد المقاعد الحجرية.
وأشارت إليه أن يجلس.

قالت بصوت هادئ:
"هذه ليست ساعة عادية."

"إنها ساعة العبور..."
"وساعة العودة."

ظل علاء صامتًا.
وكأنه يخشى أن يقاطعها.

أكملت حديثها:
"منذ سنوات طويلة..."
"خرجت في رحلة بحرية إلى جزيرة لا يعرفها أحد."
"جزيرة لم تكن تظهر على أي خريطة."

"وفي أحد كهوفها..."
"وجدت صندوقًا حجريًا قديمًا."

"وعندما فتحتّه..."
"كانت هذه الساعة بداخله."

نظر علاء إلى الساعة مرة أخرى.

وقالت:
"في البداية ظننتها مجرد قطعة أثرية."
"لكن بعد أيام..."
"اكتشفت أنها ليست من صنع البشر."

رفع علاء حاجبيه.
وقال:
"يعني... إيه مش من صنع البشر؟"

ابتسمت كليوباترا.
وقالت:
"حتى أنا..."
"لم أستطع معرفة من صنعها."

"لكنني عرفت شيئاً واحداً."

"أنها تختار صاحبها بنفسها."

ساد الصمت.

ثم أكملت:
"لقد حملتها سنوات."
"وسافرت بها..."
"ورأيت بها ما لا يمكن لعقل أن يصدقه."

"ثم أدركت..."
"أن دوري معها قد انتهى."

نظر إليها علاء باهتمام.

فقالت:
"لذلك..."
"تركتها لتختار من يأتي بعدي."

"وكان اختيارها..."
"أنت."

تجمد علاء.
وأشار إلى نفسه.
وقال في دهشة:
"أنا؟!"

أومأت برأسها.
ثم قالت:
"لم تعثر أنت على الساعة..."
"بل هي التي اختارت أن تعثر عليك."

ظل علاء ينظر إليها غير مصدق.
ثم قال بسرعة:
"طيب... هرجع زمني إزاي؟"

ابتسمت كليوباترا.
وقالت:
"لو كنت أعرف الإجابة..."
"لما افترقت عن الساعة."

ثم نظرت إلى السماء من خلال نافذة القصر.
وأضافت:
"ستعود..."
"في الوقت الذي تختاره الساعة."

"وليس في الوقت الذي تختاره أنت."

تنهد علاء.
وقال:
"يعني حتى دي... ماليش قرار فيها."

ابتسمت كليوباترا ابتسامة خفيفة.
وقالت:
"أحياناً..."
"أعظم الرحلات..."
"تبدأ عندما نتوقف عن محاولة التحكم في الطريق."

ثم وقفت من مكانها.
ونظرت إلى ملابس علاء الحديثة.
وقالت وهي تبتسم:
"لكن قبل أن تبدأ في طرح المزيد من الأسئلة..."
"هناك شيء يجب أن نفعله."

نظر إليها علاء باستغراب.
وقال:
"إيه هو؟"

ابتسمت وقالت:
"لن أسمح لضيفي أن يتجول في مملكتي بهذه الملابس الغربية."

ثم صفقت بيديها.
فدخلت وصيفتان تحملان ثوبًا ملكيًا مصريًا فاخرًا.
وقالت كليوباترا وهي تبتسم:
"ما رأيك..."
"أن ترتدي ملابس أهل هذا الزمان..."
"ثم ترافقني في جولة داخل مملكتي؟"

نظر علاء إلى الثوب.
ثم إلى كليوباترا.
ولم يستطع إخفاء ابتسامته.
وقال:
"واضح إن الرحلة دي... مختلفة عن كل اللي قبلها."

بعد أن ارتدى علاء ملابس ذلك العصر...

خرج مع كليوباترا من القصر.

ولم يرافقهما سوى عدد قليل من الحراس، يسرون على مسافة بعيدة.

كان علاء ينظر حوله بانبهار.

الشوارع مليئة بالحركة.

التجار يعرضون بضائعهم.

والحرفيون ينحتون الأحجار ويصنعون الحلي.

والقوارب تعبر النيل في هدوء.

والمدينة تبدو وكأنها لا تعرف التوقف.

قال علاء وهو ينظر حوله:

"عمري ما تخيلت إني أشوف مصر بالشكل ده."

ابتسمت كليوباترا وقالت:

"كل جيل يرى مصر بعين مختلفة."

ثم أشارت إلى المدينة وقالت:

"انظر جيدًا..."

"كل ما تراه هنا..."

"بُني على أيدي أناس آمنوا بأن ما يفعلونه سيبقى بعد رحيلهم."

نظر علاء إلى العمال الذين يحملون الأحجار.

وقال:

"إحنا في زمننا بنشوف النتيجة... لكن قليل أوي اللي بي فكر في تعب
اللي بنوها."

ابتسمت كليوباترا.

وقالت:

"وهذا هو الخطأ."

"فالتاريخ لا يصنعه الملوك وحدهم..."

"بل يصنعه أيضًا البسطاء."

واصلا السير.

حتى وصلا إلى مكان مرتفع يطل على المدينة.

وقف علاء يتأمل البيوت، والسفن، والنيل، والناس الذين يمضون في حياتهم دون أن يعلموا أنهم سيصبحون يوماً جزءاً من التاريخ.

قالت كليوباترا بهدوء:

"هذه المدينة لم تُبنَ في يوم."

"كل شخص ترك فيها أثراً..."

"مهما ظن أن أثره صغير."

خفض علاء رأسه.

ثم قال:

"لكن أنا..."

"حاسس إني معملتش أي أثر."

"ولا حققت حلم من أحلامي."

"وأوقات بحس إن الحياة سبقتني."

نظرت إليه كليوباترا طويلاً.

ثم قالت:

"وهل تظن أنني لم أشعر بهذا يوماً؟"

"الحاكم..."

"يحمل همومًا لا يراها أحد."

"والإنسان..."

"مهما بدا قويًا..."

"يمر بلحظات يظن فيها أنه لن ينهض مرة أخرى."

ثم ابتسمت.

وأضافت:

"لكن الحياة..."

"لا تكافئ من لم يسقط."

"بل تكافئ من نهض بعد كل سقوط."

شعر علاء أن كلماتها تشبه ما قاله له أينشتاين...

وما قاله له بلييه...

لكن كل واحد بطريقته.

وبينما كانا يسيران...

شعر فجأة بشيء غريب في معصمه.

نظر إلى الساعة.

فتجمد مكانه.

كانت الساعة...

تزداد إحكامًا حول يده ببطء.

وكأنها تستعد لشيء.

حاول أن يحركها.

لكنها لم تتحرك.

نظر إلى كليبواترا في قلق.

وقال:

"الساعة..."

"بتضييق على إيدي!"

نظرت إليها كليوباترا...

ولم تبدُ عليها الدهشة.

بل ابتسمت ابتسامة هادئة.

وقالت:

"يبدو أن موعد رحلتك التالية قد اقترب."

نظر إليها علاء في صمت.

فقال:

"أتمنى..."

"أن تكون قد استمتعت بالأيام التي عشتها في رحلتك."

ثم نظرت مباشرة إلى عينيه.

وأضافت:

"والأهم من ذلك..."

"أتمنى أنك تعلمت شيئاً."

تنهد علاء.

ثم ابتسم ابتسامة خفيفة.

وقال:

"أكثر مما كنت متخيل."

أومأت كليوباترا برأسها.

ثم قالت:

"إذن..."

"مهما كانت وجهتك القادمة..."

"لا تنسَ أن أعظم ما يمكن أن يعود به المسافر..."

"ليس ما رآه..."

"بل ما تغيّر بداخله."

وبينما كان علاء يسير بجوار كليوباترا...

اشتد ضغط الساعة حول معصمه فجأة.

نظر إليها في ذهول.

بدأ الضوء الأبيض يخرج من بين شقوقها.

قال علاء بقلق:

"لأ... استني... لسه عندي أسئلة!"

ابتسمت كليوباترا ابتسامة هادئة.

وقالت:

"ستعرف الإجابات..."

في الوقت المناسب."

ازداد الضوء قوة.

حتى لم يعد علاء يرى شيئاً.

ثم...

اختفى.

أخيراً "

فتح علاء عينيه فجأة.

وأخذ نفسًا عميقًا.

ثم جلس على سريره مذعورًا.

ونظر حوله بسرعة.

غرفته.

مكتبه.

ملابسه.

كل شيء كما تركه.

صرخ دون أن يشعر:

"كليوباترا!"

في اللحظة نفسها...

فُتح باب الغرفة بسرعة.

ودخلت والدته وهي تنظر إليه باستغراب.

وقالت:

"إيه يا ابني؟! بتكلم مين؟"

ظل علاء ينظر إليها لثوانٍ.

ثم قال بصوت متقطع:

"ماما...؟"

عقدت حاجبيها.

وقالت مازحة:

"هو أنت شارب سجائر من ورائنا ولا إيه؟"

لم يرد.

بل نهض من السرير بسرعة.

ونظر إلى الغرفة مرة أخرى.

ثم لمس الحائط بيده.

وكأنه يتأكد أنه حقيقي.

همس لنفسه:

"أنا... رجعت؟"

نظرت إليه والدته بقلق.

ثم قالت:

"واضح إنك محتاج تنام بدري شوية."

واتجهت نحو الباب.

وقبل أن تخرج قالت:

"قوم بسرعة..."

إنت متأخر على الشغل."

ثم أغلقت الباب.

ظل علاء واقفاً في مكانه.

وقلبه ينبض بسرعة.

نظر إلى معصمه.

لم تكن الساعة موجودة.

قلب يده أكثر من مرة.

ثم ابتسم في حيرة.

وقال:

"يبقى... كان حلم؟"

ارتدى ملابسه بسرعة.

وخرج إلى عمله.

لكن طوال الطريق...

لم يتوقف عن التفكير.

كل شيء كان حقيقياً أكثر من أن يكون حلمًا.

أحمد عرابي...

أينشتاين...

بليه...

كليوباترا...

كل التفاصيل كانت واضحة في ذاكرته.

هز رأسه وقال:

"أكيد من الضغط."

وصل إلى مقر الشركة.

ودخل وهو يحاول أن يعود إلى حياته الطبيعية.

وبينما كان يتجه إلى مكتبه...

ناداه مديره.

وقال:

"علاء."

التفت إليه.

قال المدير:

"في وظيفة جديدة بدأت النهارده."

"هتتدرب معاك الفترة الجاية."

أوما علاء برأسه.

وقال:

"تمام."

استدار المدير نحو الفتاة الواقفة بجواره.

وقال:

"اتفضلي."

تقدمت الفتاة خطوة.

رفع علاء رأسه لينظر إليها...

فتجمد مكانه.

شحب وجهه.

واتسعت عيناه.

كانت هي.

الملامح نفسها.

العينان نفسيهما.

والابتسامة الهادئة نفسها.

الفتاة التي رآها في زمن أحمد عرابي.

ثم ظهرت أمامه في زمن أينشتاين.

ثم رآها مرة أخرى في البرازيل.

همس دون أن يشعر:

"مستحيل..."

نظرت إليه الفتاة باستغراب.

وقالت:

"حضرتك بخير؟"

ظل ينظر إليها لثوانٍ.

ثم خرجت منه الجملة دون تفكير:

"أنا... حلمت بيكي."

ساد الصمت.

رفعت الفتاة أحد حاجبيها.

ثم ابتسمت ابتسامة خفيفة وقالت:

"دي أغرب طريقة حد عرفني بيها."

شعر علاء بالإحراج فورًا.

ومرر يده في شعره.

ثم قال وهو يضحك بخجل:

"لا... قصدي... الموضوع طويل جدًا."

ابتسمت الفتاة.

ومدت يدها إليه.

وقالت:

"أنا ليان."

صافحها علاء.

ولا تزال الصدمة تملأ ملامحه.

وقال بهدوء:

"أنا... علاء."

مرّت الأسابيع...

وعادت الحياة إلى طبيعتها.

استمر علاء في عمله.

لكن هذه المرة...

لم يعد الشخص نفسه.

أصبح أكثر هدوءًا.

وأقل شكوى.

وكان الرحلة غيّرت شيئاً بداخله.

أما ليلان...

فلم تعد مجرد زميلة جديدة.

مع مرور الأيام أصبحت أقرب أصدقائه في العمل.

كانا يتناولان القهوة في وقت الراحة.

ويتبادلان الحديث والضحك.

وفي كل مرة كان علاء ينظر إليها...

يتذكر أنه رآها قبل ذلك.

لكن كيف؟

ولماذا؟

لم يجد إجابة.

وفي أحد الأيام...

دخلت ليان المكتب وهي تحمل هاتفها.

وقالت بحماس:

"يا علاء... شفت الخبر ده؟"

رفع رأسه من أمام شاشة الكمبيوتر.

وقال:

"خير؟"

اقتربت منه.

ثم ناولته الهاتف.

وقالت:

"باحثين في ألمانيا نشرُوا جزءًا من مذكرات قديمة لأينشتاين كانت محفوظة في أرشيف خاص."

ابتسم علاء ابتسامة عادية.

وقال:

"وده خبر عامل كل الضجة دي؟"

ضحكت ليان.

وقالت:

"استنى بس."

ثم أشارت إلى إحدى الفقرات.

وقالت:

"الحنة دي محدش فاهمها."

أمسك علاء الهاتف.

وبدا يقرأ.

«إلى الفتى الذي جاء من زمنٍ لم أصل إليه...

أشكرك على الهدية التي تركتها لي.

وأتمنى، إن كنت قد عدت إلى عالمك...

أن تكون قد وجدت الطريق الذي كنت تبحث عنه.»

توقفت أنفاس علاء.

واتسعت عيناه.

وشحب وجهه.

نظر إلى الشاشة مرة أخرى...

وكأنه يخشى أن تكون الكلمات قد اختفت.

لكنها كانت ما تزال أمامه.

قالت ليان وهي تضحك:

"عارف؟"

"المؤرخين يقولوا إن الفقرة دي أغرب حاجة كتبها أينشتاين."

"وفي ناس بتقول إنه كان بيكتب خيال."

ظل علاء صامتًا.

ثم ابتسم ابتسامة هادئة.

وقال بصوت منخفض:

"لا..."

"مكانش خيال."

نظرت إليه ليان باستغراب.

وقالت:

"قلت حاجة؟"

ابتسم علاء.

وهز رأسه.

وقال:

"ولا حاجة."

نظر من نافذة المكتب إلى السماء.

ثم تذكر أحمد عرابي...

وكلمات أينشتاين...

وحلم بلييه...

وحكمة كليوباترا.

وأدرك أن الرحلة لم تكن لتغير الماضي...

بل كانت لتغيره هو.

ابتسم...

ثم عاد إلى عمله.

لكن هذه المرة...

لم يكن يعمل لأنه مجبر.

بل لأنه أصبح يؤمن...

أن لكل إنسان وقته.

وأن الأحلام لا تتحقق بسرعة...

لكنها لا تخذل من يتمسك بها.

تمت.

تأليف

احمد محمد عبد الكريم

Gmail:

Ahmed2020amory@gmail.com

Facebook:

Ahmed Amory